العدد ٨ من السنة الأولى جمادى الثانية سنة ١٣٥٩ — أغسطس سنة ١٩٤٠

الشؤون الاجتماعية والتعاون

مجلة شهرية تصدرها وزارة الشؤون الاجتماعية

كل ما يتعلق بالنشر والاشتراك يرسل باسم مدير التحرير مباشرة
قيمة الاشتراك فى اثنى عشر عددا ... ... ١٥ قرشا

ليس للمجلة وكلاء ولا محصلون

مدير التحرير : حسن الشريف

إدارة المجلة : بديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

فهرس مواد العدد

الموضوع		صفحة
أخلاق انجليزية	أحمد محمد حسنين باشا	٣
تفاوت السن بين الزوجين	على جمال الدين باشا	١٠
الوعظ الدينى فى خدمة المجتمع	عبد السلام الشاذلى باشا	١٣
حاجتنا إلى المرأة	دكتور محمد عبد المنعم رياض بك	١٨
الآثار المصرية فى الجيل الليبى	خليل مطران بك	٢١
العقل — المال — الجاه	محمد أحمد جاد المولى بك	٢٣
الكتب المدرسية	الأستاذ سيد قطب	٢٧
اختبار الشخصية		٣٠
أغراض التربية الأمريكية ومثلها العليا	الدكتور تشارلس وطسن	٣٣
التعاون المنزلى فى مصر	الدكتور ابراهيم رشاد بك	٣٩
مساهمة الأهالى فى مشروع المراكز الاجتماعية فى الريف	الدكتور أحمد حسين	٤٥
عيوب الرجل وآثارها فى حياة الأسرة	السيدة زاهيه مرزوق	٥٠
الجريدة وكيف تقرأ		٥٤
النجاح والتفوق	الأستاذ سلامه موسى	٥٧
هجرة سكان المدن إلى الريف		٦٠
كيف نربى المرأة التى تريدنا		٦٣
المعلم الالزامى فى ميدان الحياة الاجتماعية	الأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم	٦٦
لكى تكون انسانا مهذبا	بقلم صريح	٧٠
مسكن الفلاح	الأستاذ محمود فهمى	٧٤
خواطر وملاحظات		٨٠
جرائم النقل	اليوزباشى صالح زكى	٨٣
مكتبة الأطفال وكتبهم		٩٠
المقاهى وأثرها فى المجتمع المصرى	الأستاذ أحمد حلمى على	٩٢
بطاقات لتهذيب الذوق العام	بقلم مصلح	٩٥
متفرقات اجتماعية		٩٨
السعادة الزوجية وهل يمكن التكهن بها		١٠٣
المخدرات فى مصر فى عام ١٩٣٩		١٠٥
العادات الموصلة الى النجاح		١٠٨
الجمعيات التعاونية		١١٠
أسئلة وأجوبة		١١٩

أخلاق إنجليزية

حبذا لو نقتبس منها أو نقتدى بها

حديث مع حضرة صاحب السعادة أحمد محمد حسنين باشا

عظمة الشعب شيء وسر هـذه العظمة شيء آخر ، ومن العبث المطلق أن نشخص بعيون مذهولة إلى عظمة الشعب البريطانى وضخامة موارده وقوة أسطوله وبسطة نفوذه وثقافة أبنائه ، دون أن نبحث سر هذه العظمة لنعرف الأسباب التى جعلت من سكان هذه الجزيرة سادة امبراطورية قيل فى وصفها بحق إن الشمس لا تغرب عن أرجائها .

والكتب التى وضعت فى شرح هذه الأسباب عديدة ومسهبة ، وهى ليست فى متناول يد الجميع ولا فى متناول أفهام الجميع. ولعل كثرة ما فيها من نظريات وتفاصيل وإحصائيات وفلسفات قد صرفت قراءها القليلين عن محاولة سبر هذه الأعماق فاكتفوا من تلك العظمة بمشاهدتها والإعجاب بها ، دون التأمل فيها ومعرفة أسرارها .

وحضرة صاحب السعادة أحمد محمد حسنين باشا أحد القلائل من كبراء المصريين الذين عرفوا الانجليز فى بلادهم وخبروا طباعهم ودرسوا أخلاقهم عن كثب ، وهو فوق هذا رجل دقيق الملاحظة موفق الاستنتاج ، يدرك بثاقب فكره ما تنطوى عليه الظواهر والمشاهدات من أسباب وعوامل خفية يدق إدراكها على الكثيرين .

ولقد آذنتنى الفراسة بأنه الرجل الذى يفهم ما أرمى إليه عند ما أطلب منه باسم "مجلة الشؤون الاجتماعيـة" أن يحدثنى عن مزايا الانجليز وصفاتهم التى يحسن أن نقتـدى بها أو نقتبس منها ما نصلح به بعض الشيء من عيوبنا ونقائصنا .

لذلك ذهبت إلى سعادته وقلت له بلا مقدمات : "حدثنى عن الانجليز" .

أشعل الباشا سيجارة ولبث ينظر إلى لهب الثقاب إلى أن انطفأ ثم ابتسم وقال : أنت تذكرنى بطالب فى إحدى الجامعات طلب منه أن يلقى على إخوانه فى الدراسة موضوعا لا يستغرق من الوقت أكثر من عشر دقائق ، فاختار موضوعا عنوانه "علم طبقات الأرض ، ماضيه وحاضره ومستقبله" .

فاحتججت قائلا : "ولكنى لا أطلب فى هذا الحديث القصير أن أعرض لماضى الانجليز وحاضرهم ومستقبلهم. وإنما أريد أن أعرف أهم المزايا التى كانت سر رقيهم وتفوقهم ، كما أريد ان أعرف الخواطر التى يوحى بها إلى ذهنكم ما تشاهدونه من نقص فى أخلاقنا نحن المصريين" كلما ذكرتم الانجليز وأخلاق الانجليز .

انفرجت أسارير الباشا وقال : " الحمد لله . الآن جعلت للحديث حدودا يمكن أن نحصر الكلام فيها فلا يمتد بنا الاستطراد إلى اعتبارات لا نهاية لها . ولكن لا تنتظر منى أن ألقى على قراء مجلتكم درسا فى علم الاجتماع ، ولا أن أذهب فأتقصى الأسباب والنتائج وأرتب الظواهر على المقدمات، فمثل هذه الأبحاث لا يمكن ان تكون موضوع حديث صحفى كالذى جئتنى من أجله ، و يقينى أنه ليس أثقل على نفس القارئ من النظريات الجافة والمقررات الفلسفية التى تتشعب فيها الأفكار وتختلف الآراء . فلنقتصر حديثنا إذن على ذكر بعض المشاهدات واستعراض بعض الظواهر وسرد بعض الذكريات ، فلعل فيها ما يفيد القارئ مباشرة أو ما يدعوه إلى التأمل والموازنة والاستنتاج" .

وشخص الباشا ببصره نحو سقف الغرفة وصار يتتبع بعينيه حلقات الدخان المتصعدة من سيجارته ثم اقبل علىّ باسما وقال :

هل تدرى كيف يقدر الانجليز الرجال و بأى ميزان يزنون الشخصيات ؟ الرجل فى نظر الانجليز بقيمته الشخصية أولا وقبل كل اعتبار . فللقائد الممتاز أو الطيار المجازف أو الرحالة المغامر أو الرياضى المتفوق أو الصناعى المخترع أو العالم المستكشف مكانة عالية فى نفوسهم لا يتمتع غيره بمثلها مهما علا منصب هذا الغير أو كبرت ألقابه الممنوحة والموروثة. ولقد يحظى واحد من هؤلاء بمنصب رفيع فى الحكم فلا تطغى صفته الرسمية على الصفة الأخرى التى امتاز بها من قبل ولا تطمسها . فاذا حدث مثلا أن اختير أحد المخترعين أو المستكشفين نائبا أو وزيرا فان المخترع أوالمستكشف يظل هوالأهم فى نظر الانجليز، وهو الجدير بالتقديم والتكريم ، وهو الأولى بالاحترام والإجلال . وهذه الصفة التى ستلازمه مدى الحياة و بعد الممات هى التى يقدم بها الى الناس ،لأنها فى عرفهم مفخرة حياته ودليل تفوقه والبرهان المادى على أنه رجل ذو قيمة . فاذا قدمه كبراؤهم الى بعضهم قالوا: فلان المخترع المعروف أو فلان المستكشف المشهور ، وقليل منهم من يستدرك فيضيف: ... وعضو مجلس العموم أو وزير الداخلية . ذلك بأن الصفة الرسمية صفة مؤقتة تحترم الاحترام الرسمى الواجب لها لا الواجب لصاحبها الذى ربما يكون قد وصل اليها بحكم حالات وظروف مستقلة عن كفايته ومواهبه.

" ومن هنا امتاز الشعب الانجليزى بروحه الوثابة و بغضه للحياة الهادئة الرتيبة ، وحبه للمغامرات والمجازفات ،وولعه بأخبار الاكتشافات الجديدة فى البر والبحر، والتوغل فى الجبال واقتحام الأجواء ، وارتياد المجاهل والأماكن الموحشة فى القارات . ولعل الرواج الذى تصادفه الكتب المؤلفة فى هذه المواضيع لا تصادف بعضه أمهات الكتب المؤلفة فى غيرها. والتلميذ الانجليزى يعرف اسم لفنجستون ومكتشفاته الافريقية و بيرى وسكوت ومكتشفاتهما القطبية ، ويهتم بتقصى حياة هؤلاء الرجال وتفاصيل مغامراتهم فى شوق لا مزيد عليه . والمجتمعات الانجليزية تتتبع أخبار رحلة جريئة كرحلة الطيار لندبرج من امريكا الى أوروبا

بنفس الاهتمام الذى نتتبع به هنا فى مصر أخبار أزمة وزارية شديدة أو أخبار قضية سياسية هامة. واذا جلست بين جماعة من الشبان الانجليز فى ناد ألفيت أحاديثهم تدور حول سيرة الابطال الرياضيين والألعاب الرياضية وأنواع الهوايات المختلفة . اما السياسة والأحزاب فلهما من الأحاديث أقل نصيب .

"وحب المغامرة وارتياد الآفاق ومعرفة المجهول هو الذى يجعل الانجليزى يقبل بارتياح على الوظائف فى المستعمرات النائية والأجواء المؤذية ولو كانت هذه الوظائف فى أقاصى الهند أو فى مجاهل السودان . وهذا يذكرنا مع الأسف الشديد بالشاب المصرى الذى اذا نقل من القاهرة الى طنطا أثار السماء والأرض وحرك جميع الوسطاء حتى يلغى نقله ويظل فى القاهرة .

"وأنت تعلم أن معظم الامبراطورية البريطانية انما قام على كواهل رجال مغامرين أمضوا حياتهم فى الغربة بعيدين عن الأهل والوطن، جاهدين فى سبيل تحقيق فكرة أو وضع أساس مشروع ، ولعلك لا تجهل اسم سيسل رودس وكيف مهد لانجلترا سبيل الاستيلاء على جنوب افريقيا، ورجال شركة الهند الشرقية وكيف عملوا هناك على جعل الهند مستعمرة بريطانية ، ولعلك لا تجهل مبلغ الحزن الذى استولى على انجلترا كلها لما ظهر أن الرحالة النرويجى امندسن قد سبق الفيطان سكوت الى القطب الجنوبى بمدة لا تتجاوز الأسبوع" .

قلت: "لعل الروح الرياضى الذى يسود حياة الانجليز هو الذى ينمى فيهم حب المغامرة وفضيلة الجلد والإقدام" .

فضرب الباشا مكتبه بقبضة يده وقال متحمسا: "بالطبع . . فاهتمام الانجليز بالرياضة لا يقل عن اهتمامهم بالثقافة بل لعله أكبر . . . وأرجو ألا تعجب اذا قلت لك إن بين كل عشر جماعات انجليزية لا تجد غير واحدة تتحدث عن السياسة أو التجارة أو الثقافة بينما الآخرون يتحدثون عن الرياضة وأخبارها. وليس الاهتمام بالرياضة هناك كما هو هنا، عبارة عن قراءة أنباء بعض المباريات وذكر اسماء بعض الأبطال الرياضيين والمراهنة على الخيول، وانما هو اهتمام يجعلهم يقبلون على أنواعها المختلفة رجالا وشيوخا ونساء وصبيانا ، حتى أنك تكاد لا تعرف انجليزيا لا يمارس نوعا منها . واهتمام الجامعات هناك بالألعاب الرياضية يفوق تصورنا نحن المصريين حتى ليسمح بعضنا لنفسه بالسخرية من فرط هذا الاهتمام .

"ان العناية بالرياضة فى جامعات بريطانيا العظمى لا يقل عن العناية بالتعليم نفسه . وهذه الجامعات تنفق نفقات عظيمة فى سبيل إعداد وتدريب وتهيئة الفرق الرياضية التى تضمن لها النصر فى المباريات . وجمهور الانجليز يعرف اسم "الكابتن" لفرقة اكسفورد أو كمبردج ويميز صورته، فى حين أنه قلما يعرف أسماء الأوائل والمتفوقين فى كليات الآداب أو العلوم.

"وللرياضي المتفوق في اكسفورد وكمبردج شارة يعرف بها. وهي زرقاء داكنة في اكسفورد وزرقاء سماوية في كمبردج وتسمى Blue . ولحامل هذه الشارة مكان ملحوظ في المجتمعات البريطانيـة حتى أنهم اذا ارادوا أن يقولوا عن شاب إنه كامل الرجولة كامل المروءة كامل الأخلاق قالوا He is a blue وهم محقون في ذلك، لأن الشاب لايحصل على هذه الشارة إلا بعد جهاد عنيف تقوده روح رياضية سامية تصهر نفسه وتنقي أخلاقه وتتم رجولته .

وكما أن النياشين تسحب من صاحبها إذا ارتكب جريمة مخلة بقواعد الشرف فإن الشارة الرياضية الزرقاء تسحب من حاملها إذا فسدت أخلاقه أو ساءت سمعته أو أصبح غير أهل لحملها لسبب من الأسباب . ذلك لأن الرياضة والأخلاق شيئان متلازمان يتم أحدهما الآخر .

"ولا تنس النظام Discipline عند الانجليز، فالنظام عندهم ليس قانونا ولا فرضا وإنما هو خلق فطري يكاد لا يحتاج الى تعليم أو تلقين . وهذا الخلق يجعلهم يطيعون القوانين واللوائح والعرف عن رغبة واختيار لاتكلف فيهما ولا إكراه، وهذه الطاعة الاختيارية للنظام تراها في المجالس النيابية كما تراها في ميادين الرياضة، والاندية السياسية للأحزاب . فمتى اتفقت جماعة منهم على انتخاب رئيس وجبت طاعة هـذا الرئيس ولم يبق محل للاختلاف في شأنه ولا للتفكير في الخروج عليه . وما دامت رياسته قائمة فالكل يعرف لها حقوقها ويحترمها .

" أذكر ، لما كنت عضوا في فرقة كرة القدم بكلية باليول ، أننا كنا في مباراة هامة وأن الكرة وصلت إلى قدمي وأنا قريب من الهدف . فلما هممت بتصويبها إليه ، نادانى الكابتن أن أناوله إياها ، ولكني رأيت الفرصة طيبة لإصابة الهدف فلم أطع الأمر وقذفت الكرة فأخطأت المرمى . ولقد لفت الكابتن نظري بعد اللعب إلى هذه المخالفة ، ورجا مني ألا تتكرر . ثم حدث بعـد ذلك أن كنا نلعب في مباراة أخرى وتجدد نفس الموقف وكنت هذه المرة قريبا جدا من الهـدف فنادانى الكابتن : هات يا حسنين ، ولكني لم أستمع إليه وضربت الكرة فأصابت المرمى . فهل تدري ماذا جرى ؟ استدعاني الكابتن إليه وقال لي : " إنك يا صاحبي تأبى أن تخضع للنظام ، ولذلك أبلغك مع الأسف الشـديد أني لا أستطيع الاحتفاظ بك في فرقتي بعد الآن " فاحتججت بأني كنت على حق ، بدليل أني أصبت المرمى ، فقال لي : " ولو ... النظام قبل كل شيء " وهكذا فصلت من الفرقة لأنهم يعتبرون النظام ولو أدى إلى فشل خيرا من الفوضى ولو أدت إلى نجاح ...

"ولعل من أبرز صفات الانجليز اعتزازهم بالكرامة القومية وبغضهم للفضائح وإعراضهم عن القال والقيل . فالتحفظ عندهم يشبه الحياء ، وهو يعم السكان أفرادا وجماعات . وقلما تسمع في انجلترا عن فضيحة تمس رجلا من رجال الدولة أو موظفا كبيرا أو هيئة من الهيئات العـامة . ولست أريد بذلك أنهم شعب منزه عن الخطأ ، ولكني أعني أنهم يغسلون ثيابهم القـذرة في بيتهم ولا يعرضونها على الأنظار . فإذا زل أحد كبار الموظفين أو ارتكب خطأ عظيما عمدت الحكومة إلى التخلص منه بلا كشف يفضح ولا تحقيق يهين . وإذا ظهرت

بوادر فضيحة سياسية أو إدارية أو مالية بادرت الحكومة إلى سترها أولا ثم إلى معالجتها بعد ذلك فى غير ما شوشرة ولا إعلان . وهكذا تصون الحكومة هيبة الحكم ولا تعرض الهيئات العامة إلى عبث الغيل والقال " .

وابتسم الباشا وهز رأسه كمن يريد أن يتكلم فتمنعه بعض الاعتبارات . فقلت : لعل ذلك يذكر سعادتكم بحبنا نحن المصريين لإظهار فضائحنا وهوايتنا الشديدة للتشهير والتنديد ، وحرصنا على هدم كبرائنا والإساءة إلى سمعة زعمائنا وذلك الصراع الحزبى الذى لا يبقى على عرض ولا كرامة شخصية .

فصمت الباشا طويلا ثم قال : " ليس من شأنى أن أخوض فى مثل هذه الأشياء ، وأنا إنما أحدثك عن الانجليز لا عن المصريين ، ولك أن تستنتج وتوازن وتستخلص كما تشاء . دعنى أقول لك أيضا إن من أسمى الأخلاق الانجليزية الشجاعة فى تحمل التبعات وبغض التهرب منها وتمحل الأعذار لتبريرها ، فلا يكبر على نفس الانجليزى عند ما يخيب فى سعى أو عند ما يفشل فى عمل أن يصرح بالخيبة وأن يرجع أسبابها إلى تقصير قصره أو خطأ وقع فيه ، ولست تسمع منه عبارات " لو كان ... ولولا أن ... وماذا أفعل ... " وهذا خلق يدل على الرجولة الكاملة وتقدير معنى المسئولية والشجاعة التى لا تجعلك تلقى التبعة على غيرك ما دمت تعرف أنك أنت المسئول .

" ووطنية الانجليز وطنية صامتة ، والانجليز على وجه عام يعتبرون من الشعوب الشمالية التى لا تصخب فى احتفالاتها ومظاهراتها ، وحبهم لوطنهم يعد من الأشياء الطبيعية التى لا تحتاج إلى طنطنة ولا يليق بأحد أن يفخر بها أو يفاخر بها غيره . والتضحية الوطنية عندهم أمر عادى لا يتحدثون به ولا يتباهون ، بل ولا يخطر ببالهم أنهم يستحقون عليه مكافأة أو تكريما . ولقد جاش الانجليز مئات السنين وهم لا يحتاجون إلى نظام إجبارى للخدمة العسكرية ، لأن كلا من الجيش والبحرية والطيران كان يجد جنوده بالتطوع ، ووطنية الانجليز تبدو فى السلم كما تبدو فى الحرب ، فإن أعظم المؤسسات الاجتماعية الكبرى قد أنشأها وطنيون من الانجليز وقد أخفى بعضهم حتى اسمه وتقدم للخدمة العامة وهو جندى مجهول . وهناك أفراد من الأغنياء قد تبرعوا لأعمال البر والخير بملايين من الجنيهات ، ولعلك تعلم أن لورد نفيلد صاحب مصنع سيارات موريس قد بلغت تبرعاته فى هذا السبيل خمسة عشر مليون جنيه .

" ومن الأمراض الخلقية التى برئ منها الانجليز : المحاباة ، محاباة الأقارب والأصدقاء والمحاسيب ، ذلك السوس الذى ينخر فى عظام الدولة فى كثير من الأمم ، لا يعرفه الانجليز ، فالجميع عندهم أمام القانون وأمام النظام سواء ، وهذا هو الشأن فى المناصب والتوظيف والترقى والمكافآت والواجبات العامة ، لا تمييز لطبقة على طبقة ولا لفرد على فرد ، ولا فرق بين ابن العامل الصغير والوزير الكبير .

" حدث فى الحرب العالمية الماضية أن أشيع أن ابن مستر لويد جورج رئيس الوزارة إذ ذاك قد وضع فى خط خلفى من خطوط المحاربين حتى لا يتعرض للقتل فى الصفوف الأمامية . وقد سئل مستر لويد جورج عن ذلك فى البرلمان ، فصعد الى المنبر وأعلن أن هذا الزعم محض افتراء وأن ابنه فى الخط الأول من خطوط النار ، وقال إنه مستعد لأن يذكر للسائل موقع هذا الخط بصفة سرية ، لأنه يخشى أن يعلم العدو هذا الموقع إذا صرح به علانية . وهذه الاشاعة إن صحت تعرض رئيس الحكومة لموقف خطير قد يؤدى إلى سقوطه باعتبار أنه رجل يستغل نفوذه لتحقيق منافع شخصية. وحدث أيضا فى تلك الحرب أن وضع نظام البطاقات على كثير من الأطعمة . وقد ذكر مستر لويد جورج فى مذكراته عن الحرب أنه عندما كان يطرأ عليه ضيف فى تلك الأيام كان يحرم نفسه من كمية الزبدة أو اللحم المقررة له لكى يقدمها للضيف . وليس ثم دليل أكبر من هذا على حرص الموظفين الانجليز فى تعميم المساواة لا يحابون كبيرا ولا يظلمون صغيرا ، وفى هذا أيضا دليل على اطمئنان الشعب ، خاصته وعامته ، إلى العدالة وحسن تطبيقها على الجميع .

" ولا بد لى من أن ألفت نظرك إلى أن المدرسة الانجليزية تمتاز بكونها تعنى بتعليم الأخلاق عنايتها بتعليم العلوم ، فالمعلم الانجليزى صديق تلميذه ورقيبه ومرشده ، وهو لا يحصر اهتمامه فى المواد الدراسية التى يلقنها لتلميذه ، وإنما يدع هذا الاهتمام يمتد الى تعرف استعداد هذا التلميذ واستكشاف مواهبه واتجاهاته التى لا تزال غامضة ، والى توجيهه التوجيه الذى يناسب هذا الاستعداد وينمى تلك المواهب ، كما يمتد الى تعرف أسلوب المعيشة الذى يتبعه التلميذ فى حياته . وهنا ترى نوعا من المزاملة يسود معاملة الأستاذة للتلاميذ ، إذ يصحبونهم الى النزهة فى الخلاء أو الى زيارة بعض الأماكن ويتحدثون اليهم فى مختلف الشؤون أحاديث فكهة طريفة تنطوى على التهذيب والتقويم والارشاد من دون أن يبدو عليها وقار التدريس ولا جد التعمد . وهكذا يتعلم الشاب الانجليزى الأخلاق وهو يلهو ويتنزه ويعبث ويلعب . وبديهى أن الأخلاق لا يمكن تعليمها بالتلقين وانما هى تعلم بالقدوة الحسنة والمثل الطيب والايحاء الصالح والتعليق على الحوادث والأشخاص تعليقا ذكيا تستخلص منه العظات والعبر الفاضلة فترسخ فى النفس رسوخا يؤثر فيها مدى الحياة . والبيت الانجليزى يعاون المدرسة فى تكوين أخلاق الطفل وصيانتها من المؤثرات الضارة . والطفل الانجليزى لا يشهد فى البيت مناظر التنافر والمشادة بين والديه ، ولا يحظى منهما بهذا التدليل الأحمق الذى يصور له أن الدنيا كلها قد جعلت لإرضائه والاستجابة لرغباته ، ولا يتسامح معه فيما يستحق اللوم أو التعنيف أو العقاب ، ولا يكافأ على كل عمل يحسنه حتى لا يفهم أن الأصل فى الحياة هو التهاون والتراخى وأن الاحسان عمل ممتاز يمنح من أجله المكافآت وتغدق عليه بسببه الهبات .

" والشاب الانجليزى أنيق فى هندامه ، ولكن أناقته بعيدة عن صفات الأنوثة . فهو لا يتعطر ولا يطلى أظافره بالملمعات ولا يتعمد أن يجعل رباط رقبته وجوربيه ومنديله من لون واحد ولا يترك المنديل يتدلى على صدره ولا يتحلى بالجواهر . ولو أن تفصيل الملابس للرجال فى لندن لا يساويه فى الأناقة إلا تفصيل ملابس النساء فى باريس ، الا أن السمات الغالبة فى هذا التفصيل هى المحافظة على مظهر الرجولة التامة وتأكيد المتانة قبل كل شىء .

" وكما نرى الانجليزى يتحفظ فى هندامه ويكره البهرجة ، تراه يتحفظ فى لغته وإيماءاته وكلامه . فهو ساكن فى الحديث قلما يرفع الصوت أو يكثر من الاشارات . وهو فى الغالب صامت ، ولا يتكلم إلا عند ما يجب الكلام ، فعندئذ يتكلم ولكن بقدر ويعبر عن رأيه بأقل عدد ممكن من الكلمات . ولعلك لاحظت أن الانجليزى لا يقول شيئا بلهجة التأكيد ولا يستعمل صيغة المبالغة ولا أفعل التفضيل ولا يعزز أقواله بالأيمان ولا يلجأ الى الكلمة الجارحة إذا وجد عبارة مؤدبة تؤدى معناها . وإنما تسمعه يقول : أظن . . وأرجح . . ومن أحسن ما رأيت . . . . وفلان شخص يحذر منه . . . أو غير مرغوب فيه . . وهكذا .

" وبعيد جدا أن تسمع شابا انجليزيا يتحدث عن غرامياته ، أو يفخر بغزواته فى هذا الميدان أو يذكر اسم سيدة عرفها . فالغرام عند الانجليز يكاد يكون مقدسا ، وهو سر حميم بين الواحد وحبيبته لا يبوح به ولا يجرى على لسانه . وإذا حدث وسمح شاب لنفسه أن يفعل ذلك فى جمعية من الأصدقاء فإن الآخرين لا يترددون فى طرده من بينهم .

" والانجليزى أيضا يكره المقهى والسهر فيه ، لأنه يحب بيته ويريد أن يكتن فيه . فاذا أراد الاجتماع بالاصدقاء التحق بأحد الأندية التى تجمع بينه وبين زملائه فى الطبقة الاجتماعية التى ينتسب اليها . وهناك يختلط بأعضاء يعرفهم ولا تفنى شخصيته فى مجموعهم . ومن ثم فالأندية كثيرة فى لندن ، حتى لقد تعد بالمئات ، أما القهاوى العامة فقلما تجدها إلا أن يكون ذلك فى الأحياء التى يقطنها الأجانب " .

وهنا نظر الباشا إلى ساعته وقال : " إن للمواعيد قيمة كبرى عند الانجليز ، والمحافظة عليها خلق من أظهر أخلاقهم وأدب من أبرز آدابهم . ولم أعرف انجليزيا أخلف موعدا معى إلا أن يكون ذلك لعذر خارج عن إرادته . ومع ذلك فهو لا يفوته أن يخطرك فى الوقت المناسب حتى لا تضيع وقتك فى انتظاره سدى " .

قلت وقد أعجبنى هذه الاشارة اللطيفة وهممت بالانصراف : " يظهر أن سعادتكم على موعد قريب " فضحك الباشا وهو يمد يده مسلما وقال : " هذا صحيح وإذا كنت ترى أن الموضوع يتطلب المزيد فلنرجئ البقية الى فرصة أخرى " .

وخرجت وأنا أفكر فى هذا وأقول لنفسى : أين كل هذا مما نراه فى مصر ... سبحانك ربى إن الفرق لعظيم ! .

حسن الشريف

تفاوت السن بين الزوجين

لحضرة صاحب السعادة علي جمال الدين باشا

لست أدرى كيف غفلت عن هذا الموضوع أعين الناقدين فلم تتناوله بالايضاح والعرض أقلام الكاتبين ، كأنما هو من الأمور النادرة الوقوع أو الهينة الأثر ، أو كأنه ليس هو الأصل فى كثير من المآسى الاجتماعية المروعة التى تمزق اسماعها نياط القلب ويتصدع من بشاعتها الفؤاد .

هذا شيخ جاوز الستين أو أشرف عليها ، له من وفرة المال وضخامة اللقب مايغريه باستباحة جميع المتع وإن استعصى بعضها على الشيوخ ، ومحاولة اقتحام أبواب السعادات وإن أوصد بعضها فى وجوههم . وهذا شاب فى مطلع العمر وفى نضرة الشباب ، ولكنه قليل المال أو هو من حيث المنصب والجاه فى البداية ، ينشئ نفسه إنشاء ويبنى حياته كما يبنيها كل شاب . هذا الشيخ وذاك الفتى يتزاحمان على خطبة فتاة ، فيأخذ أدلها فى الموازنة بين الخاطبين ، ويضعون المال واللقب فى كفة والشباب والأمل فى كفة ، وما أكثر ماترجح الأولى ويؤثر الأهل الشيخ الثرى على الشاب المقل ، ويضعون بين ذراعيه وفى عهدة شيخوخته جمال ابنتهم وصباها ومستقبلها .

ويتعلل أبوها وأمها بأن فى الدنيا متعا غير متع القلب ولذائذ غير لذائذ الحب ، أو يقولان إن سنى الشيخ محدودة ومنيته دانية ، فما لنا لا نضيف الى مواردنا هذا المورد الفياض من ثروته الكبيرة ، وما لفتاتنا لاتصيب منه ميراثا سخيا ينفعها وينفع أولادها ؟

ولقد تسايرهما فتاتهما فى هذا الطمع ، ويأخذها ما أخذهما من سحر المال وفتنة الغنى وبهجة الزخرف والحلى والزينة والمتاع مما يستطيع الزوج الموسر أن يغدقه على زوجته ، فتخمد فى قلبها نداء الجنس وصوت الحياة ، ولا تصغى إلا الى نداء الترف وصوت الجاه . وتنعقد الصفقة وإنها لصفقة خاسرة : طمع وطيش من ناحية ، وغرور وأنانية من الناحية الأخرى .

فاذا ما احتواهما بيت الزوجية ، أخذت الفوارق تتجلى ومظاهر التباين تتعدد : فهذا جسم آخذ فى التكون تتقد فيه جذوة الشباب ، وذاك جسم آخذ فى الانحلال يدب فيه الفناء . هذا قلب مترعرع يتطلب الحب ، وذاك قلب أجدب فلا مرعى فيه لحب . وهذه روح فى بداية الربيع تتفتح للحياة وتهتف بالمنى وتستقبل الآمال ، وتلك روح فى نهاية العمر تودع الدنيا وتستدبر الأيام بما فيها من منى وآمال . ويلحظ الزوج بوادر فتور أو أمارات تململ فيحار فى تعليلها ويعجب كيف تفترعنه زوجته وما أمرت إلا أطاع ، وكيف تتململ بين

هذا الثراء وما عرف لها مطلبا إلا أداه . ثم يذهب فى تفسير ذلك كل المذاهب الا المذهب الواحد الصحيح ، وهو أنه عاجز عن إجابة الشباب الى مطلبه الأسمى وهو الشباب .

نعم إنه يذهب فى التفسير كل المذاهب ، ولكن يفوته أن الفتاة انما تبتغى فى الزواج الحب والمرح والأنس قبل كل شىء ، ثم تود لو يحاط كل هذا بشىء من الغنى والجاه . اما الغنى والجاه وحدهما فلا يعوضان عن الحب والمرح والأنس شيئا ، وان الزواج الذى لا نعمة فيه سواهما إنما هو جسم ضخم بلا روح ، أو إطار ثمين ليست فيه صورة .

ولقد يدرك الزوج هذه الحقيقة المرة ولكن بعد زمن طويل و بعد أزمات نفسانية قاسية . يدركها بعد أن يأنس من زوجته التراخى ثم الفتور ثم الصدود ثم السأم ثم عدم المبالاة ثم الانحراف عن الطريق المستقيم .

ان الزوجة الشابة تتلهى أول الأمر بزهاتها و زيناتها ومسكنها ومركبها و ولائمها وخدمها وكل ما يفيضه عليها مال الزوج الشيخ من مباهج الدنيا ، ولكنها لا تلبث أن تحس أن هناك شيئا ينقصها ، شيئا أرفع وأسمى من كل ما هى فيه ، وأن حاجتها إلى هذا الشىء أقوى من حاجتها إلى البذخ والزينة ، وأن هذا الشىء هو الشباب الذى يمتزج بشبابها ويحب حبها ويمرح مرحها ويؤمل آمالها وينشد معها نشيد السعادة ويرشف من كأسها وترشف من كأسه رحيق الحياة .

عندئذ يتبدى أمام عينيها شبح الحقيقة المخيف . عندئذ يتبين لها أنها أخطأت سبيل الهناء . عندئذ يتضح لها أنها ضحيت على مذبح الأسرة . عندئذ ترى نفسها فى سجن فيه مال وفيه جواهر وفيه لباس ورياش ، ولكنه سجن لا تحب البقاء فيه . وعندئذ يكون الطلاق أو الخروج عن طوق العفاف . وهنا تقع الكارثة وتبدأ المأساة .

أما الزوج فتظل أمانيه تتساقط أمام عينيه أمنية بعد أمنية . لقد كان يرجو الاستمتاع بالجسم الغض والقوام اللدن والمحيا الطلق والسمر الحلو والصحبة المسعدة ، فإذا هو أمام جسم يتلوى تقززا بين ذراعيه ، و إذا هو أمام المحيا العابس والجبين المقطب والحديث المتحفظ والصحبة المتكلفة والقلب المشرد . و إذا بهذا المسكين ينضح على تلك التعسة من كآبة شيخوخته بقدر ما كان يتمنى أن تفيض عليه من مرح صباها .

و يبدأ دور الشكوك والريب ، فيسائل نفسه : إذا لم يكن قلب امرأتى عامرا بحبى فمن ذا الذى يشغل هذا القلب ، و إذا كانت تمتنع عنى فلمن تتذر هذا الجسم ؟ و إذا كان فكرها مشتتا ففيمن عساها تفكر و إلى من تصبو ؟ وهكذا تظل الشكوك تساوره و يظل يعانى منها الغصص والآلام .

أية حياة هذه ؟ وأى خسران فى صفقات الزواج أفدح من هذا الخسران ؟ وأين هذا مما يطلب فى الزواج من هناءة وتعاون واتفاق فى الآمال ومشاطرة فى الهموم والمسئوليات ؟

وليس زواج الشاب بالمرأة المسنة من أجل مالها أقل خطرا ولا أهون ضررا مما وصفنا فى الحالة الأولى . فان هـذا الطامع الغبي يبيع نفسه بيعا رخيصا ويخضع رجولته وكرامته لسيطرة المـال فى يد امرأة . واست أعرف أذل ولا أحق بالسخرية والازدراء من شاب يطلع على الناس فى مظهر فخم وثيـاب فاخرة وجواهر غالية ، كل ذلك على حساب امرأة يتمتع بمـالها فى حياتها ويرجو فى قرارة نفسه لو تموت ليرثها .

وليس فى الدنيا أشد تحكما ولا أكثر عتوا ولا أحد غيرة من امرأة بلغت سن الكهولة بينما زوجها لا يزال فى معية الشباب . هذه المرأة تعيش فى ثورة دائمـا على الحياة التى سلبتها شبابها وجمالها ، وكلما امتدت بها الأيام ازدادت ثورتها عنفا وازدادت أخلاقها خشونة . فهى تروح عن نفسها بالغضب على من حولها وتفيض كآبتها وحزنها على بيتها وزوجها وأولادها . وهى تغار من لا شيء ومن كل شيء ، وتتوجس الريبة من صديقاتها وزائراتها وترى الخيانة فى كل امرأة تعرف زوجها ، والويل لهذا الزوج إذا تحدث عن جمال هذه أو رشاقة تلك من النسـاء اللاتى يصادفهن فى الطريق أو تربطهن بالبيت رابطة قرابة أو معرفة . وإنها لتبيت تساهر النجم وتحاول أن تمزق حجب الغيب لتعلم أسرار زوجها وخفايا سلوكه واتجاه عواطفه . وياما أكثر تأويلها لكل بادرة تبدر منه ، وياما أشد تعسفها فى تفسير كل حركة تصدر عنه .

ألا لعمرى إن هذا هو الجحيم بعينه فما أغنى الشباب عن هذا الجحيم !

وبعد فما أقصر نظر الأهل يقذفون بفتاتهم وهى فى العشرين من عمرها بين ذراعى زوج فى الخمسين ! إن السنين تجرى سراعا ، فإذا ما انقضت عشر سنوات على هذا الزواج كانت الفتاة قد بلغت عنفوان شبابها وأوج صباها ، وكان الزوج قد أمعن فى الانحدار والهبوط وشارف النهاية ، فتصبح ممرضة لشيخ يقاسى تباريح الربو أو يعانى آلام النقرس . فماذا يكون حظ هذين الزوجين من السعادة ، وماذا يكون حظ الحفاظ والعفاف والشرف بين مطالب الشباب وضعف الكبر ؟

وما أقصر نظر الشاب يرضى وهو فى الثلاثين من عمره بامرأة فى الخمسين من أجل مالهـا ، فلا تمضى عشر سنين حتى يرى نفسه حيال زوجة قد تجعدت بشرتها وغاض معين الحياة فى وجهها وباتت عجوزا لا يصلح العطار من أمرها ما أفسد الدهر ومافعلت الأيام . وهل ينتظر من رجل فى مثل هـذه الحال إلا أن ينشد خارج البيت مالا يجده فى البيت ، وإلا أن يبتز من مال زوجته ما يستهوى به الغانيات والخليلات ؟

ألا فليفكر فى ذلك فتياننا وفتياتنا قبل الاقدام على زواج شاذ تتفاوت فيه الأسنان تفاوتا كبيرا ، وليكونوا أبعد نظرا الى المستقبل ، فالمستقبل أقرب مما يظنون ، وليتق الله فى بناتهم أولئك الآباء الذين يدفعون بهن الى أحضان الشيوخ ابتغاء المـال والجاه ، فانهم انمـا يدفعون بهن الى مزالق الأخلاق بل الى الطريق المؤدية الى السقوط والفضيحة والعار .

على جمال الدين

الوعظ الدينى فى خدمة المجتمع

لحضرة صاحب السعادة عبد السلام الشاذلى باشا

سبق لى أن دعوت على صفحات هذه المجلة أئمة المساجد وخطباءها والقائمين بالإرشاد الدينى إلى الخروج من دائرة الوعظ التقليدى الذى لا يزيد على أنه سرد لأركان الإسلام ، و إحصاء للفروض والسنن ، ووعد بجزيل الثواب ، وتحذير من شديد العقاب .

واذا كان حقا أن فى مصر اليوم طائفة من الأئمة والخطباء قد نشطت الى مهمتها آخذة بأساليب الوعظ الحديثة ، فالحق أيضا أن المنابر وحلقات الدرس قد تعاقبت عليها الأجيال دون أن تظفر من فريق من الوعاظ بغير ذلك الحظ ، حظ السرد والإحصاء ، والوعد والوعيد ، فى عبارات غامضة لا تعمل فى النفوس عملها المرجو ، وفى جمل متشابهة تصلح لكل جيل وكل قبيل ، وفى تعميم لا يجلو للناس حقائق الدين ولا يكشف لهم محاسن الدنيا ، بل هو ينصبّ على وجوب الإعراض عن الدنيا ونبذها وتحقيرها والتزهيد فى نعيمها ، كأن الله لم يخلقها لنا ولم يخلقنا لها ، ولم يوصنا ألا ننسى نصيبنا منها ، بل كأن هذه الدنيا ليست هى سبيلنا إلى الآخرة .

الدنيا ليست فى نظر الدين هينة ولا حقيرة ولا جديرة أن تنبذ و يعرض عنها ، وما ينبغى لأحد أن يغلو فى تصغيرها و يصرف قلوب الناس عنها وعن طلب مناعمها وطيباتها وعن العمل لنشر السعادة والرخاء والسلام فى أرجائها وتوجيه أصحابها إلى أمثل الطرق لإرضاء أنفسهم و إرضاء الله .

ومن ثم فالواعظ النافع هو الذى يكون له فضل فى هذا التوجيه ، وهو الذى يحسن استخدام ما وعى من نصائح الدين فى إصلاح شؤون الدنيا ، بحيث لا ينسى الناس واجباتهم فى كلتا الناحيتين .

و إذا كان عمل الواعظ كما بيّنا ، دينيا ودنيويا معا ، فقد وجب عليه أن يعمل على إصلاح " التدين " أو بعبارة أوسع وأوضح ، تصحيح فهم الناس لتعاليم الدين و إرشادهم إلى أمثل الطرق لتطبيقها ، وتنقية هذا التدين من الأوهام والخزعبلات التى علقت به ، والعودة إلى الصواب فى القضايا التى أسىء فهمها فأسىء تطبيقها .

نريد من الواعظ أن يفهم الناس أن اهتمامهم بإسعاد دنياهم هو الوسيلة التى يسعدون بها آخرتهم ، إذ لا غنى لطالب الخير فى الآجلة عن طلب الخير فى العاجلة . ومن الخطأ أن يحسب بعضهم أن الكدح والدأب من أجل العيش الهنىء والحياة السعيدة و إحراز المجد والقوة

والسيطرة والعظمة قد يتنافى مع التوكل على الله والإيمان برحمته وبأنه يبسط الرزق لمن يشاء بغير حساب . نعم من الخطأ أن يتمكن هذا الوهم من روع الناس ، فيقول ابن زريق الشاعر :

والسعى فى الرزق، والأرزاق قد قسمت، بغى ، ألا إن بغى المرء يصرعه

فذلك أسوأ ما يدبر به الإنسان أمر حياته ، وأبعد مايكون عن فهم معنى التوكل على الله ، وأخطر ما يجب أن يحاربه الواعظ الدينى ليجتثه من نفوس الناس .

يجب أن يقول لهم إن التوكل هو العمل والدأب مع الثقة بالله ودوام الاستعانة به . وإلا فلو أن النبى صلى الله عليه وسلم قنع من حسن الإسلام بالتوكل وقعد عن الفتح لما قامت للاسلام قائمة . ولو أن الخليفتين الأولين اكتفيا بالتوكل ولم يعملا للدنيا لما قامت الأمبراطورية العربية التى كأنى بالتاريخ لم يجعل إلا لتدوين عظمتها والتحدث بآثارها ومناقبها .

يجب أن يظهر للمسلمين فساد الفهم الذى فهموه من قوله تعالى : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » وفساد ما استنبطوه منها من الحكم الشعبية المثبطة للهمم ، المميتة للعزائم ، كقولهم : « الرزق على الله » و « الله يرزق الماجع والناجع والراقد على أذنيه » و « إن نمت عن رزقك فرزقك لاينام عنك » وأن يبين لهم الفارق العظيم بين ما أراده الله وما فهمه المتأخرون . فالناس إن توانوا عن السعى منتظرين من السماء رزقهم فسيطول انتظارهم دون جدوى ، لأن السماء — كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — لا تمطر ذهبا ولا فضة ، ولأن العدل الإلهى يأبى أن يرزق القاعد والكسول كما يرزق الساعى والمجد ، وأنهم إذا جروا على هذه القاعدة ، قاعدة التواكل يسمونه توكلا ، والتفريط يحسبونه إيمانا ، لم يقف حظهم عند ترك الخير والقعود عن طلبه ، بل قعدوا عن اتقاء الشر والعمل لدفعه .

يجب أن يقول لهم : « إن الدين المعاملة » أى أن حسن المعاملة بين الناس هو النتيجة التى تنتهى اليها العبادات . والله لا يرضى من الناس بعبادات لاتؤدى إلى هذه النتيجة ، وأن العمل الصالح فى الدنيا يرفع الكلم الطيب إلى الله ، وفى ذلك يقول أصدق القائلين : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » .

ليكن هذا من أهم مايهتم به الواعظ الدينى ، فيبين للناس دينهم على حقيقته ويفسر لهم الكتاب والسنة تفسيرا صحيحا يحفزهم إلى العمل الصالح الذى يسعدهم فى دنياهم فيسعدون فى آخرتهم ، وأن يوجههم إلى خير الأعمال الصالحة وهى التعاون الإنسانى فى مختلف أشكاله .

ليقل لهم إن الله لم يجعل الصلاة لتكون حركات آلية وترديد آيات وتلاوة أدعية ، وإنما أراد أن يسبقها الوضوء لتنظيف الأطراف نظافة كاملة لا مجرد إجراء الماء عليها ، وأرادها

أن تكون وقوفا يقفه بين يدى خالقه ليقول له فيه إنه مؤمن به ، مصدق لما أنزل عليه ، عامل وفق أوامره، عازم على المضى فى طاعته ، شاكر لنعمته ، نادم على مافرط منه، فيجب أن يكون المصلى صادقا فيما يقول فى صلاته مؤمنا به ، وإلا فإنه يكذب على الله وهو قائم بين يديه والله عالم حقيقة مايخفى وما يعلن .

ليقل لهم إن الإنسان يتجنب ارتكاب الجرائم لأنه مؤمن بوجود قانون العقوبات وبوجود الحاكم الذى ينفذ أحكامه ، فكيف لا يتجنب المحرمات إذا كان مؤمنا بوجود الله وقيام الحساب ؟ إلا أنه لو كان صادق الايمان لكان صادق الصلاة ، ولو كان صادق الصلاة لتجنب المعاصى . وإلا فكيف يطلب الغفران وهو عازم على المعصية ، وكيف يرجو التوبة وهو مصر على الإثم ، وكيف يزعم أمام عالم الغيب والشهادة أنه مؤمن بالحساب والجزاء وهو لا يخشاهما ؟ ولذلك يقول الله تعالى « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ويريد الصلاة الصادقة الصادرة عن قلب يفهم معانيها ومايجب أن يترتب على هذه المعانى . أما الصلاة التى لا تنهى عن الفحشاء والمنكر ولا تنتهى بصاحبها إلى الصلاح الحقيق فهى كذب على الله واجتراء على مقامه . وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من لم تنهه صلاته وصيامه عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا " .

وليقل لهم إن الله غنى عن الناس وليس فى حاجة لأن يعبد ، وانما فرض العبادات وجعلها وسيلة الى تحقيق الإصلاح الاجتماعى .

فالصيام ليس عقوبة جوع بالنهار يتبعها عفو بالليل ، وإنما هو الى جانب كونه مهذبا للأخلاق ومرفقا للطباع ، تعويد للجسم والنفس على الحرمان طيلة شهر من أشهر السنة اعدادا لها لتحمل الشدائد، حتى اذا جاء زمن يتطلب الحرمان أو الاجتراء أو التوجب اويحتمها تحتيا كزمن الحرب والمجاعة ، كانت النفوس والأجسام مهيأة لها متعودة عليها مستعدة لتحملها . فالذين يصومون بالنهار ويشبعون الجسم طعاما واستمتاعا بالليل انما يضيعون حكمة الصوم ويفوتهم ثوابه ، ولا يفعلون الا أنهم يضنون انفسهم بالجوع والظمأ نهارا فى غير طائل . لأن الصائم الصادق فى صيامه هو الذى يأكل فى رمضان ليتقوت ويعيش لاليشبع ويستمتع .

وليقل لهم إن الصدقة شىء والزكاة شىء آخر . فالزكاة ضريبة ضربها الله على القادر ليعيش منها العائل ، وشطر من مال الغنى جعله حقا للسائل والمحروم ، فلا يتحلل منها المسلم ببعض الصدقات ولا يتحايل الغنى على الفرار منها بصنوف الحيل ، فإن مايجوز على الوالى أو القاضى من المحاولات لا يمكن أن يجوز ولا أن يتطلق على الله .

وليقل لهم إن الله لم يفرض الحج ليكون مجرد سفر إلى الحجاز ورحلة بين المناسك ، وانما فرضه لأغراض انسانية اراد بها استدامة عطف المسلمين على البلد الذى نشأ فيه الأسلام ، وجعل بعض الأغراض الاجتماعية شروطا لصحة الحج بدونها لاتستقيم فريضته ، وقد بين الإمام

الغزالى فى كتابه " إحياء علوم الدين " هذه الأغراض فنص على أنه يجب على معتزم الحج قبل أن يخطو الخطوة الأولى فى طريقه أن يوفى ما عليه من الديون و يرد ما فى ذمته من الأمانات و يصلح ما ارتكب من الأخطاء الضارة بصالح الغير و يستغفر الناس بالعمل قبل أن يستغفر الله بالقول عما أتى من المظالم . و إلا فالحج غير مستوف شروطه ومن ثم فهو غير مقبول .

وليأخذ للناس من كتاب الله وسنة نبيه وآثار السلف الصالح ما يصلح شؤونهم و يرد مجتمعهم إلى الوحدة والتآخى والتعاون على البر والخير ، وله فى ذلك نهج سديد من قول الله تعالى " و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما " ومن قوله : " انما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون " و ليستخرج ما يرغبهم فى مجالس المصالحات وما يحملهم على التدخل لإحلال السلام فى العائلات و إحكام الصلات بين المتخاصمين .

وليسر فى وعظه وتوجيهه سيرة السابقين الأولين من بناة الاسلام ودعاته ، وليقل لسامعيه قول على بن أبى طالب فى ذم البخل : " عجبت للبخيل يستعجل الفقر بحبس ماله عن نفسه وعن الناس ، فيعيش فى الدنيا عيشة الفقراء ، ويحاسب فى الآخرة حساب الاغنياء " وليفسر لهم ما فى هذا القول من حض على البذل فى سبيل تعميم المنشآت الخيرية ومعاضدة الأعمال الاجتماعية ، وليأخذهم بما كان رضى الله عنه يأخذ به الناس من منطق سليم مقنع مؤثر ، حين يقول لهم موجها إياهم إلى الإحسان : " افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئا ، فإن صغيره كبير وقليله كثير " وليبين لهم أن الكثير إنما يتجمع من القليل وأن الخجل من المساهمة فى الخير بالقليل خطأ كبير . وليذكر لهم من آثاره ، كرم الله وجهه ، ذلك القول الجامع الرائع الذى ربط فيه أوثق رباط بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة ، إذ سمع رجلا من المقربين إليه يقول : " استغفر الله " فانتهره قائلا : " ثكلتك أمك . ليس الاستغفار كلمة تقال و إنما هو أعمال تعمل . الاستغفار هو الندم على ما فات مع العزم على ترك العود إليه ، وأن تؤدى إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس لا تبعة عليك ، وأن تعمد إلى كل فريضة ضيعتها فتؤديها ، وأن تعمد إلى اللحم الذى نبت على السحت فتذيبه ، وأن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته لذة المعصية ، وبعد ذلك تقول : " استغفر الله "

وليجعل للأسرة نصيبا موفورا من وعظه ، فأرباب الأسر أحوج ما يكونون الى من يوجههم نحو تعاليم الإسلام الصحيحة فى سياسة البيت وتربية الأولاد وصيانة حقوق الزوجة واكرام المرأة ، والى من يصور لهم بشاعة الطلاق وما ينجم عنه من تفكك الروابط وتشتت القلوب وتوزع العواطف وخراب البيوت ، و إلى من يرسم لهم الحدود التى شرعها الله لتعدد الزوجات وينبههم الى ما فى تجاوز هذه الحدود من آثار مشئومة تقوض دعائم الأسرة وتهدم كيان العائلة ، وليضرب لهم الأمثال مما يجرى حولهم ومن الجنايات التى تقع قريبا منهم بسبب ذلك التعدد .

* * *

تلك أمثلة لما يجب أن يكون عليه الوعظ الدينى فوق المنابر وحلقات الدرس ؛ ذكرتها لا باعتبار أنها كل ما يحصر فيه الواعظ دروسه ، بل باعتبار أنها نماذج لما ينبغى أن يوجه إليه نشاطه وتفكيره وإرشاده . والقرآن الكريم والسنة الشريفة ، وآثار السلف الصالح ، كل ذلك فياض بالأحكام والعبر والمثلات التى يستطيع الواعظ اللبق أن يحلوها و يبسطها للناس فى عبارات سهلة لا تسمو على مداركهم بل تجعل السامعين يقبلون عليه بجمة قلوبهم متأثرين مهتدين .

والإرشاد الاجتماعى إذا استمد من أوامر الله وآداب الدين كان أقرب الدعايات إلى العقول وأفعلها فى النفوس . فأنت إذا قلت للفلاح المصرى : كن نظيفا كالانجليزى ، قال لك أو قال لنفسه : وأين أنا من الانجليزى الذى سبقنى إلى المدنيـة بأجيال وقرون ؟ أما إذا جئته من ناحية الدين وقلت له كن نظيفا لأن دينـك يأمرك بالنظافة ، ولأن من حسن إيمان المرء أن يكون نظيفا ولأن إسلامك لا يتم إلا بالنظافة وأن الانجليز قد أخذوا قوانين النظافة عن دين المسلمين بعد أن تركها المسلمون ، إذا جئته من هذه الناحية وقلت له ذلك كان لقولك أثر بالغ فى نفسه لا يمكن أن يبلغه نصح آخر .

وبعد فالواعظ الدينى من أنفع عمال الإصلاح الإجتماعى إذا أحسن تسليط أشعة الدين على شؤون الدنيا . والإسلام بلا شك دين الاصلاح والتهذيب والعمران ، فليفهمه الوعاظ ثم فليفهموه للناس .

عبد السلام الشاذلى

حاجتنا إلى المرأة

فى إنشاء العمل الاجتماعى الكبير

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم رياض بك
القاضى بمحكمة مصر المختلطة

كثيرا ما تناول الكتاب واجبات المرأة بالبحث والجدال ، وتساءلوا أيجب أن تحيا المرأة حياة الرجل أم تظل منهمكة بمنزلها معنية بزوجها وأولادها . كما تساءلوا أهى تفوق الرجل أم تقل عنه ؟ ولسوف يتداولون الرأى ولا شك طويلا فى هذا الموضوع .

أما أنا فتخالجنى ثقة لا حد لها بالمرأة وبقدرتها على نشر ألوية السعادة حولها ، وليس محلها فى عرف مزاولة الأعمال أو القيام بشؤون المكاتب ، بل محلها فى منزلها أولا وفى مهمتها الاجتماعية ثانيا . فللمرأة حيث كانت رسالة سامية تؤديها ولا سيما فى مصر المفتقرة الى الخدمة الاجتماعية .

وإن الاصلاح الاجتماعى الذى تحتاج اليه مصر لن يدر درّه ويؤتى أكله إلا إذا تسلمت مقاليده المرأة المصرية . فما أعظم سلطان المرأة فى مغناها ومكتنفها ! ولقد كنت عنيت بدراسة تطوع المرأة للخدمة الاجتماعية دراسة خاصة لما كنت السكرتير العام لوزارة الشؤون الاجتماعية ، واهتممت كل الاهتمام بمدارس الخدمة الاجتماعية بالقاهرة والاسكندرية حيث تتدرب الفتيات والسيدات على النهوض بالعمل الاجتماعى فى شتى حلباته ، كإدارة الملاجئ ومعاهد الأطفال ، والعناية بالمنزل ونظافته وجماله ، وحيث تغرس فى نفس المرأة الكياسة لتكون أهلا للتغلب على جميع مشكلات الأسر ولتوطد أركان المحبة والسعادة بما لها من نفوذ فعال واسع المدى فى كل مكان تغشاه .

ويخيل إلىّ أنه لو ألفت لجنة من السيدات تظلها رعاية سامية لجاءت بالمعجزات ، ولحدت بها وسائل التشجيع العالى إلى أن تتخذ لها الفروع فى جميع الأحياء ، بل فى كل مجموعة من المنازل وفى كل حى وفى كل شارع . فالمرأة أعمق أثرا عند ما تبذل النصح والمشورة لمن تعرف من جاراتها دون تطفل أوفضول . وسرعان عندئذ ما يسود المنازل ما يجب أن يسودها من النظام والنظافة والصحة ومباهج الحياة العائلية ولو على سبيل المحاكاة .

وعلى تلك اللجنة أن تضع برنامجا اجتماعيا واسع النطاق تتناول فيه العناية بالشوارع والمنازل والأطفال والشيوخ والمرضى والحوامل والتربية العامة والنظافة والتدبير المنزلى .

أما فى الأرياف والقرى — وميدان العمل متسع فيها جدا — فقد تستطيع هذه اللجنة أن توفر للفلاح حياة جديرة بالانسان ، وذلك بأن تتصل بالعمدة ليقوم بمساعدتها فى عملها

الاجتماعى . وعلى كل لجنة فى حى أو قرية أن تدرس حاجات من تعنى بهم وتدبر لمساعدتهم المال اللازم . فلو تعاون الجميع حسب مختلف وسائلهم لتضاءلت النفقات ولاستطاعت المرأة أن تستندى أكف الأغنياء وتحملهم على البذل والعطاء .

والواقع أن نظام المقايضة يجب أن يعم الطبقة الفقيرة . فما أعظم النتائج التى يحصل عليها لو تعاون البناء والنجار وغيرهما فى بناء الدويرات التى يستفيد منها الجميع وأشرفت النساء على ذلك العمل وقادته مسترشدة بما تعرفه من حاجات الأسر .

ولو عمد الجميع ، رجالا وصبيانا ، الى العمل فى أوقات الفراغ والبطالة ، وفى الفترات التى لا تتطلب الأرض فيها عملا كثيرا ، وفى أوقات العطلة بالمدن ، لظفرت كل قرية بأسة بحمامات عامة وأندية ومجامع ألعاب ، ولتوزع العمل بين النساء كل على قدر طاقتها واستعدادها : فهذه جماعة منهن تعنى بغسيل الأسرة ، وتلك تصلحه ، وأخرى تعجن وتخبز ، وسواها تهتم بالمنزل وحديقته كما لو كان ملكها الخاص ، ولأخذت أذكاهن فؤادا تراقب الصحة العامة وترسل فى الوقت الملائم الى المستشفيات والعيادات ما يتيسر إرساله من المرضى والجرحى والمسلولين فتنقذ بذلك كثيرا من النفوس البريئة .

إن مشاريع الاصلاح الرسمية الكبرى تستشرف العالى من الأمور، وقلما تنجح الحكومة فيه أو تتمه ، وذلك لما يتطلبه من مال وافر ورجال متخصصين ، ولن تتوافر للحكومة أبدا الموارد اللازمة لمواجهة هذه المشاريع إذ ليس ذلك مما يستطيع أن يتفرغ له موظفوها .

لنبدأ أولا بتربية أكبر عدد ممكن من النساء وتوجيههن الى الهدف الاجتماعى ، فتستفيد المرأة هى نفسها كما يستفيد غيرها من هذه التربية التى تنتشلها من وهدة الكسل وتوفر لها عملا وغاية فى الحياة تستعيض بهما عن اللهو والعثرة .

ولست أعنى أن تقوم السيدات بإنشاء مؤسسة جديدة على غرار المؤسسات الخيرية القائمة فى البلاد ، فحاجتنا الى تنظيم المؤسسات الموجودة أمس منا الى ايجاد مؤسسات جديدة . ومن أهم وسائل التنظيم أن توحد المؤسسات التى تقوم بعمل متشابه ، وأن يعمد الى إثارة اهتمام المحسنين لهذه المؤسسات حتى يكونوا على بينة من العمل الذى تؤديه والذى يبذلون له المال .

واللجنة العامة التى أشير اليها هى أجدر من يضطلع بالرقابة العليا على الأعمال الخيرية والجهود المنتشرة والعمل على تنسيقها وانسجامها وزيادة اهتمام الناس بشؤونها .

ولما كان القيام بإصلاح اجتماعى كهذا يتطلب وقتا لتجنى غراسه ، فيجب أن يبدأ فى كل شعبة نخبة من السيدات على جانب من التربية الاجتماعية تأخذ كل واحدة منهن على عاتقها تربية بيئتها وجيرانها ومن حولها من الصديقات ، ثم تنهض كل واحدة من

هؤلاء الى النسج على منوال من أخذت عنها تلك التربية ، وهكذا دواليك حتى تتسع الحلقة . ويقيني أن هذه الحركة ستتسع ولو أنه سيعتور تقدمها بعض العقبات التي أرجو أن تتمكن من التغلب عليها .

ومن أهم ما يجب أن تدركه السيدة معرفة ما هو الاحسان ، وما هي محبة القريب ، وكيف يعود الخير على صاحبه ، وكيف تعوض تلك التضحيات الضئيلة التي تبذل في سبيل اسعاد الغير آلاف الأضعاف بما يشعر به المرء من غبطة وارتياح لقيامه بها . ولعمري ما الذي تتكلفه المرأة مثلا في الامتناع عن الاسراف ، أو في العناية بالثياب القديمة وتنظيفها ورفوها وكيها ثم في التصدق بها على من يكون في حاجة اليها ؟ وما الذي تتكلفه إذا هي لم ترم رمى النواة لعب الأطفال التالفة أو المكسورة ، وإذا هي فرقتها على الصغار الفقراء الذين يفرحون بهذه اللعب وليس لهم ما يلهون به أو يلعبون ؟ .

وفي المواسم والأعياد كم تسرف الأسر في المآكل والحلوى مع أنها لو قامت بشيء من التدبير والنظام لوفرت نصيبا منها للفقير ؟ .

والمآدب ؟ أليست مصدر المتعة والغبطة للكثيرين ؟ فما ضرّ لو أقيمت مآدب للحرومين وتبرعت كل سيدة بلون من ألوان الطعام فيها ؟ إنا لا نخال في ذلك إرهاقا لها أو تجاوزا للطاقة .

والحفلات الشعبية ؟ هل يفكر أحد ممن يتنقلون في المواسم من حفلة الى أخرى أن يعنى بإقامة حفلات للمحتاجين من أفراد الشعب الذين يقضون أكثر أيامهم في عمل شاق وجهد مضن لا متعة فيه ولا رفاهية ؟ ألا إن في مقدور كل لجنة أن تنشئ مدرسة عملية أو ملجأ صغيرا في حيها . أو أن تهتم بالمتشردين الأحداث في المنطقة التي تشرف عليها ، فتلتقط من يخرج من دور الإصلاح منهم وتنقذهم من الحمأة التي يوشكون أن يتردوا فيها ، وتستطيع في هذا الباب كل لجنة فرعية أن تعتمد على اللجنة العامة لما لأعضائها من شخصية ونفوذ .

ولا سبيل إلى مطالبة الحكومة بالبدء بهذه الجهود المتنوعة المختلفة ، فمهمة الحكومة أن تتدخل في آخر الأمر عندما تسير القافلة فتخصها بعونها سواء بالإعانات المالية أو بإمدادها بأطبائها ومرضاتها وخدماتها .

والصعب في ذلك كله هو البدء في السير ، ولا نظنه يتطلب يد الرجل القوية ، فيد المرأة المفعمة بالشجاعة وكرم النفس والأثر الفعال كفيلة بأن تلمس ذلك المشروع فينبثق منه النور ، فهو لا يحتاج إلا إلى يد كريمة يدين لها الجميع بالمحبة والإجلال .

فأجب بذلك اليوم الذي تسير فيه قافلة العمل الاجتماعي الى خير مصر ، وأجل به تذكارا نبيلا يحيي فيه القوم ميلاد مشروع وطني عظيم !

محمد عبد المنعم رياض

الآثار المصرية في الجبل الليبي

كما رآها شاعرنا الكبير خليل مطران بك

"تمادعا إلى نشر الأرجوزة التالية إقبال جمهورنا المصري عادة زيارة مواضع الآثار الخالدة التي يعجب بها العالمون ويبسمها جميع النبوغ من كل قطر ، ويرون من محاسنها مالا نرى ، ويقدرون من فضل أجدادنا الأقدمين مالا نقدر ، فهل لهذه الدعوة الى زيارة تلك الآثار مايقع موقعه في نفوس أجدر الناس بأن يعنوا بها وأن يقلبوا النظر مرارا وتكرارا في روائعها وبدائعها "

المحرر

الجبل الليبي وفرعه الشيبي
أشبه بالخليه فارغة مليه
ساكنة تخاف سكانها آلاف
بها من الإنسان في ذلك الزمان
طوائف أشتات لا يحسبون ماتوا
من ملك مؤلّه في عرشه المنزّه
ومن ولي عهد ومن أمير جند
ومن حماة دار ومن غزاة جار
وحارث وزارع وتاجر وصانع
وبائع وشاري وكاتب وقاري
ثم بها المنقول كالأصل والمحمول
من منتجات العمل على اختلاف النحل
آنية المُدام والشرب والطعام
والعود ذو الإطراب والطبل ذو الإرهاب

وآلـــة العمارة والبـذخ والحضارة
وسائر الأشـــياء من حاجة الأحيـاء
ثم بهـا الأطيـار تكاد تســتثار
من سانح وبارح وباغم وصـادح
ثم بهـا البهـائم وحشيّهـا والسائم
من آهل وجَلَبَ مذلل أو مصعب
ثم بهـا الجوارى طوارق البحار
فمنشـــآت النيـل بشحنهـا الثقيل
من سـلع البـلاد وسلب الأعادى
فالفلك فلك القـدس محمولة فى الكرسى
ترى على الأكتاف فى موكب الطواف

سائر البدائع

تلك حواشى السلسلة من زينة متصـلة
تمتـــد فى الثقوب إلى حدود النوب
وغير هـــذا الجبل كم من جليل عمـل
كم فَدَن ممـرّد عظّم قـدرة اليد
كم من عتىّ بربا كان مظـلا ربا
كم من رفيع هرم كم من بديع صنم
كم من دمى نواطق أشـــبه بالحقائق
أليس كل ذلـكا يجـدر بانتقالـكا ؟
من زاره فقد طوى فى اللحظ أدهار النوى
وجمـــع العتـــيدا فى الحـال والعهيدا
فاستحضر الخـالينا وأذكر السالينا
وعاش بعض آن فى منتهى الزمان

خليل مطران

العقل - المال - الجاه

للاستاذ الجليل محمد أحمد جاد المولى بك
المفتش الأول للغة العربية

[وإن تعدُّوا نعمة الله لا تُحصوها]
قرآن كريم

[أقل مايجب عليكم لله ألا تستعينوا بنعمته على معصيته]
على بن أبي طالب

إن شكر المتفضل ثمرة إحساس أولى يستشعره ذوو الفطر السليمة ، والخصال القويمة . إذ حب المحسن مركوز فى الجبلة ، مستقر فى أصل الخلقة ، ثابت فى غرس الطبيعة .

أما جحد الجميل ، ونكران العرف ، وغمط النعمة ، فشذوذ فى الفطرة ، وجنوح عن الإحساسات الشريفة والعواطف النبيلة .

فأولو النظر البعيد والرأى السديد ، رأوا أن نجاتهم فى الاعتصام بحبل الله ، واللجوء إلى فسيح ساحته ، فعاشوا فى طمأنينة وأمنة ، وعزة ومنعة ، وأما من خبثت طينتهم وتكدرت طويتهم فأولئك قوم لؤمت طباعهم ، وانعكست أوضاعهم ، إذ كان عندهم موجب الشكر أداة الوزر ، ومهبط العرفان مبعث النكران ، مع أن النفوس الكريمة ، إذا لم تقو على مقابلة الإحسان بالإحسان لاتجنح إلى ردّه بالإساءة والعدوان .

وقد منح الله عطايا جمة ، وتفضل جل علاه ، فخصنا بالعقل ، وكرمنا بالمال ، وزيننا بالجاه فى الحياة . وأولى هذه النعم العقل ، إذ هو أعظم المواهب ، لاتغنى عنه نعمة ، ولا تقوم مقامه موهبة ، يصدر عنه العلم صدور الرؤية عن البصر ، والنور عن القمر ، والأريج عن الزهر .

فهنيئا لمن أعمله فيما يقرّبه إلى ربه ، من علم ينير له ولأمته السبيل ، أو اختراع يذلل لهم العمل ، أو كشف يوسع دائرة الأمل ، أو إحياء سنة ترفع النفس من حمأة الرذيلة إلى منازل العليين الأبرار ، وفوزا لمن هدى بعقله الضال ، وأرشد بفكره الحائر ، وسدد بنور يقينه خطى السائر .

ومن الجنوح بنعمة العقل عن وجوهها المشروعة ، شغلها بالأفكار السامة ، والمبادئ الضارة ، والعقائد الزائفة ، والمذاهب الهادمة ، التي إذا تفشت بمجتمع نخرت عظامه وحلت أخلاقه ونظامه ، وقوضت بنيانه ، وعجلت فناءه .

ومن كفران نعمة العقل نبذ الحق مع نصوع برهانه ، والخضوع للهوى مع ظهور بطلانه ، أو بذل الجهد في إبطال الحق ، والباس الباطل لباسه بتبرئة جان ، أو إدانة برىء ، أو تضييع حق على صاحبه ، أو إثبات شيء لغير أهله " أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون " ؟

والمال : جعله الله أحد الشطرين اللذين تتحلى بهما الحياة بقوله جل ثناؤه " المال والبنون زينة الحياة الدنيا " . وحث على السعي في اكتسابه بقوله تعالى : " فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه " وقال عليه السلام : " اعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبدا ، واحذر حذر أمرئ يخشى أن يموت غدا " .

ولما كانت الرغبة في المال فطرية قد تدفع المرء الى التهالك عليه ، والبحث عن الذهب حيثما وجد اليه سبيلا ، أوجب الله أن يطلب من الوجوه المشروعة : قال عليه السلام " أيها الناس إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : " يأيها الرسل كلوا من الطيبات ، واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم " وقال : " يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم " ثم قال : الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يارب ، يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، فأنى يستجاب له ؟

وقد عنى الاسلام بالمال ، لأنه تصان به النفس من الامتهان ، وتغرس الكرامة في القلوب وتكثر الأصدقاء والأنصار ، وتدفع طوارئ الحدثان ، ويستعان به على طلب العلم والعمل والذكر والفكر ، وجميع وجوه البر .

لذلك كله أمرنا الله تعالى بالمحافظة على المال وسلوك سبيل الاعتدال في التصرف فيه فلا تفريط ولا إفراط ، ولا إسراف ولا تقتير ، قال تعالى : " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا " .

ومدح المعتدلين في الإنفاق ، وجعلهم في عداد عباده الذين يحبهم قال جل ثناؤه : " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما " .

ونهى عن التبذير وذم المبذرين ، وجعلهم فى عداد الشياطين . قال تعالى : "ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا".

ومن كفران نعمة المال الضن بها على مستحقيها ، كمنع الزكاة ، التى فرضها الله على القادرين ، وهدد من شح بها على مستحقيها بأشد العذاب ، قال تعالى " ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير " .

ومن ذلك أيضا حرمان الأجير أجره ، أو نقص ما اتفق عليه مع أن النبى عليه السلام يأمرنا بإعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عرقه .

ومن الحيد بنعمة المال عن سبيلها المشروع ، استعمالها وسيلة إلى إفساد الضمائر ، والجناية على الأخلاق ، بالرشوة ، و بالإدلاء إلى الحكام ، لاغتصاب الحقوق ، أو إهدار الواجبات ، والله تعالى يقول : "ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها إلى الحكام ، لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم ، وأنتم تعلمون " .

ومن الرشوة الممقوتة الهادمة لكيان المجتمع ، ما ينفقه بعض المرشحين — للنيابة — ليتغلب على منافسه ، يغرى به الناخبين ، و يشترى ضمائرهم ، و يستعين بهم على وصفه بمحاسن يعلم الله أن بينه و بينها أمدا بعيدا ، واتهام منافسه بمساوئ ، لم يعرف بها ، وهى بصاحبهم أنسب ، و إليه أقرب : وفى هذا غرس للأحقاد والأضغان ، وإيقاظ لنار الفتن ، التى تفرق بين المؤمنين ، وتباعد الإخاء والإحسان والتعاون والتواد عن المواطنين .

ومن الضلال المبين إنفاق الأموال فى ارتكاب الموبقات وانتهاك الحرمات ، وسفك الدماء ، وإزهاق الأرواح ، والسعى بالدس بين الناس ، والاشتغال بها عن واجبات الله وحقوقه .

ومن آلاء المولى على بعض عباده المجدودين إنعامه بالجاه : وهو أن يكون للمرء حظ مرموق ، من مكانة رفيعة ، أو رتبة سامية ، أو منصب خطير ، تتوجه نحوه الآمال ، وحق هذه النعمة على صاحبها أن يكون لغيره قدوة صالحة ، يحذو حذوه ، وينهج نهجه ، ويقتفى أثره .

و إذا بلغ به جاهه مجالسة الملوك والأمراء يكون حريصا على قول الحق ، فإنه ليس أفضل عند الله من كلمة حق عند سلطان جائر .

وواجبه فى هذه الحال النصح والإرشاد ، إلى أقوم طريق بأسلوب رقيق كيس ، لا ينفر ولا يدعو الى الإصرار ، قال تعالى : "يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا" وأما إذا جارى فى الباطل فقد ضل وأضل .

وكما يجب أن يقول الحق فى غير ضعف ولا خوف ، وأن ينصح فى غير لوم ولا عنف ، يجب أن يشفع فى غير وزر ولا حد ، فان الشافع فى الخير مأجور ، والشافع فى الشر مأزور ، قال تعالى : " من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها " .

ولا ريب فى أن المنازل الرفيعة فى مساعدة الناس بالمال أو بالعلم أو بالجاه ، لأن الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله ، "ومن نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه"

وحق على ذى الجاه أن يصلح بين الناس ، ويعمل على إزالة ما يقع بينهم من أحقاد ومنازعات ومخاصمات ، فقد قال رسول الله عليه السلام ؟ "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هى الحالقة ، لا أقول ، تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين" .

وأما من يستخدم جاهه فى ظلم الناس ، بأى لون من ألوانه ، أو تسخيرهم فى منافعه ، بلا مقابل ، أو الحصول على ما ليس له حق فى نيله ، أو الحيلولة دون وصول حق إلى صاحبه أو محاكمة برىء ، أو براءة متهم ، أو إخلال بواجب ، أو تقصير فى حق ، أو فى أية معصية من معاصى الله — من يعمل شيئا من ذلك ، فقد كفر نعمة الجاه ، بل أحالها إلى شر نقمة . قال الله تعالى : " ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار " وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال "إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار" .

وبعد ، فهذه نعم ثلاث من نعم الله الجليلة : العقل ، والمال ، والجاه ، كان عرفان الجميل يحتم علينا أن نقدم لله تعالى كفاءها من الشكر الجزيل ، بتوجيهها فيما خلقت له من مقصد نبيل ، لا أن نتخذها أداة المعصية ، كما قال الامام على كرم الله وجهه : " أقل ما يجب عليكم لله ألا تستعينوا بنعمته على معصيته " . وفقنا الله إلى سواء السبيل باتباع النبى الكريم .

محمد احمد جاد المولى

الكتب المدرسية

تبعد المدرسة المصرية عن الحياة

بقلم الأستاذ سيد قطب

يقضي التلميذ فى مصر نحو خمسة عشر عاما متنقلا فى المدارس ، حتى يتم دراسته المعتادة ، تبتدئ عادة من السابعة إلى الواحدة والعشرين ، وقد تصل إلى الخامسة والعشرين .

وهذه المدة الطويلة تعد تضحية كبيرة من العمر ، إذا نحن فصلنا بين حياة المدرسة وحياة المجتمع ، كما هى الحال عندنا اليوم ، وكما كانت فى أوروبا قبل ظهور المذاهب الحديثة فى التربية والتعليم . تلك المذاهب التى نجد فى أنفسنا الشجاعة الكافية للأخذ بها ، إما لأن فيها جديدا خارجا على ما ألفه واضعو برامج التعليم فى مصر فهم لا يميلون إليه ، وإما لأنه يتطلب نفقات مالية لانحب أن نضحى بها ولو كانت ثمرتها أثمن من كل ثروة مادية ، وإما لأننا لم نستعد للاستفادة منها بالأساتذة المدربين عليها ، والذين سنكل إليهم تنفيذها ، وإما لهذه الأسباب جميعا .

وعلى أية حال فإن عجزنا عن الأخذ بهذه الطرق الحديثة ، يجوز أن يقعد بنا عن تعديل خططنا وكتبنا الدراسية بحيث نبعد بها ما استطعنا عن قاعدة الفصل بين المدرسة والحياة . هذه القاعدة التى تضيع على الطالب عندنا نحو خمسة عشر عاما من سنى الحياة القصيرة .

ومن أشهر الطرق الحديثة للوصل بين المدرسة والحياة الحقيقية " طريقة المشروع " وهى كما يفهم من اسمها ، تعتمد على خلق " مشروع " معين ، مماثل للمشروعات العامة فى الحياة الواقعة ، تقوم الدراسة وتلقين المعلومات على أساسه .

وليكن " المشروع " مثلا إنشاء منزل يقوم به التلاميذ بمساعدة الأساتذة . ثم لننظر نوع المعلومات التى يمكنهم أن يفيدوها من هذا المشروع .

إنهم سيعرفون الأطوال والمسافات عند اختيار القطعة ، وسيزيدون عليها معرفة الجهات الأصلية والفرعية عند تخطيطها ، ثم يعرفون شيئا عن الهندسة المعمارية والرسم عند تصميم المنزل ، وأشياء عن فن البناء ومواده وشيئا من النجارة والحدادة ، وسيحسبون التكاليف والنفقات

فيتعلمون الحساب العملى ، وقد ينشئون حديقة للنزل فيضطرون لمعرفة أسماء كثير من النبات وخصائصه ومزاياه وحياته ، وإلى تربية بعض الحيوان والطيور فيدرسونه ويعرفون طبائعه وتغذيته وفوائده .

ويتعلمون فى أثناء هذا كله شيئا عن الضوء والأشعة والتقلبات الجوية واتجاهات الرياح ... الخ .

ويخرجون من "المشروع" بعد هذا بثروة علمية متنوعة درسوها دراسة عملية، لاتختلف كثيرا عما سيقع لهم فى الحياة .

وفضلا على امتياز هذه الطريقة من الوجهتين السيكلوجية والتربيية ، فإنها تعتبر كسبا لسنى الدراسة ، التى تصبح قطعة من الحياة العملية ، ومهدة لها .

ونحن لا نطمع أن تطفر العقلية التعليمية عندنا إلى هذا المستوى فى سنوات قليلة ، فلنعمل على الأقل على أن نخلق الصلة بين المعلومات التى نلقنها للتلاميذ وبين ما سيصادفهم فى الحياة بعد ذلك ، وأن نجعل كل ما نلق إليهم من المعلومات مفهوما منهم تمام الفهم .

وإن الانسان ليقف موقف المتعجب أمام بعض النصوص التى نلقنها للتلاميذ، لبعدها عن كل معقول تارة ، أو لبعدها عن أفهامهم تارة أخرى .

فحين نكلف التلميذ حل المسائل المعروفة باسم "مسائل الحنفيات والأحواض" فنقول له مثلا : "حنفية تملأ حوضا فى ثلاث ساعات ، وبالوعة تفرغه فى أربع ساعات ، فتحت الحنفية والبالوعة فى آن واحد ، فبعد كم ساعة يمتلئ الحوض؟" ثم نتفنن فى أوضاع هذه المسائل ونعقد فى أشكالها ، فإننا نضرب للتلميذ مثلا لا يمكن أن يقع إلا فى "مستشفى المجاذيب" . وأقل ما نؤذيه به من هذه المسائل أن نعرض على ذهنه صورة من صور العبث الذى لاطائل تحته ، والذى لا يقع عادة فى الحياة ، وأن نبعد به عن الجو العملى الذى يجب أن تكون المدرسة ممهدة له .

ولا يبعد عن هذا كثيرا نوع مسائل "الأطوال والمكاييل والموازين" فى صياغتها وبعدها عن الوسط المصرى وما يقع عادة فى وسائل المواصلات وفى البيع والتجارة .

وحين نقول للتلميذ فى قواعد اللغة العربية : "صيغة منتهى الجموع" فإننا لا نستطيع أن نفسرها له ، فما معنى صيغة منتهى الجموع هذه ؟

إذا كان الغرض أن هذه الصيغ لا تقبل الجمع فى صيغة أخرى فهذه ليست خاصة لها ، وإلا فكيف نجمع "أقلام ، وكتب ، وشئون" جمعا آخر ؟

وإن كان الغرض أن هذه الصيغ آخر صور الجمع لمفرداتها ، فما هى الصور السابقة لها ؟ وهل هناك جمع آخر لكلمة "مصباح" غير "مصابيح" التى هى صيغة منتهى الجموع ؟ ولماذا نلقى مثل هذا الاصطلاح غامضا فى أذهان التلاميذ ؟

وشبيه بهذا أن الاسم " ممنوع من الصرف " فما هو الصرف فى ذهن التلميذ الصغير ، ولماذا لا يكون هذا الاسم " ممنوعا من التنوين " ؟

والفعل المضارع . مامعنى "مضارع" هذه ؟ إن التلميذ يفهم " الماضى " لأنه يدل على وقوع الفعل فى زمن ماض ويفهم فعل الأمر ، لأنه يطلب به وقوع الفعل أى الأمر ، أما المضارع فلا مدلول له فى ذهنه من معنى لفظه . فلم لا يقال عنه : فعل الحال أو الاستقبال ؟

إن تعويدنا التلميذ أن يتلقى معلومات غامضة لا مدلول لها فى ذهنه ، يجعل هذا الذهن غامضا فى تصوره وتعبيره ، وهذا أشد عيوب الذهن الإنسانى ، فيجب أن نناى به عن هذا الشر من حيث نريد له الخير .

* * *

وبعد فنحن نشكو تعطل المتعلمين ، وأكبر أسباب التعطل عدم استعدادهم لمواجهة الحياة العملية . بينما نضع بأيدينا وكتبنا المدرسية بذور هذا التعطل ، بمباعدتنا بين المدرسة والمجتمع فى كل شىء .

وليست الأمثلة التى أشرت إليها فى كتب الحساب والنحو إلا طرفا لعيب شامل لكل كتب الدراسة وطرائقها وللجو المدرسى كله ، الذى يبذل همه فى البعد عن جو الحياة العاملة .

وهذه مسألة اجتماعية لا مدرسية فحسب . لهذا يجب أن ننظر إلى أثر كل كلمة وكل جملة وكل منهاج فى عقلية التلميذ وفى خلقه ، وفى استعداده لمواجهة الحياة . وأن نجعل ما يدرس فى المدرسة شبيها بما يواجهه فى المجتمع . وألا نستهين بعهد الدراسة ، فهو فضلا على طوله واقتطاعه جزءا مهما من الحياة ، يعتبر أساسا لما يليه من العمر أى أنه هو الحياة !

سيد قطب

اختبار الشخصية

" الشخصية " من الموضوعات التى تلق اهتماما عظيما فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث قد تساوى الجنسان واستبيحت الفرص لجميع الأفراد لكى يحصلوا على العيش و يبرزوا فيه دون أن يشعر أحد أنه من طبقة دنيا أو ان هذا المركز أو ذاك ليس من حقه. ووسائل التبريز كثيرة ومنها هـذه " الشخصية " التى يجرى ذكرها على اللسان كثيرا ولكن ينفلت معناها كأنه الزئبق لا نكاد نمسك به . ويرى الأمريكيون الذين يؤمنون بمـذهب النجاح ويدعون اليه و يعينون طرقه أن التوفيق فى العمل موكل بالشخصية أكثر مما هو موكل بأى شىء آخر. وقد ابتدعوا الوسائل لاختبار الشخصية و بيان عيوبها وميزاتها وأسسوا المكاتب أو العيادات لكى يختبر فيها الانسان شخصيته و يعرف مكانه منها هل هو متقدم أم متخلف . ونحن نصف هنا مع الإيجاز إحدى هذه العيادات ومنها يدرك القارئ ماهية الشخصية كما وصفتها سيدة كتبت مقالا تحت عنوان " إنى امرأة جديدة " فقد روت هـذه الكاتبة أنها شعرت حوالى الثلاثين من عمرها أنهـا تخلفت ووقعت فى ضيق ، وأنها عندما كانت تعرض نفسها لعمل ما لم تكن تجد القبول والرضى . فعمدت الى إحدى هذه العيادات التى فحصت عن عيوبها ووصفت لها العلاج . وقد شرحت كل ذلك بما نوجزه فيما يلى :

١ — كان أول ما وضع تحت الاختبار صوتها . فقد أدخلت فى غرفة سجل فيهـا صوتها وحديثها على نبرات مختلفة وفى نغمات الحديث المألوف . ثم بسط لها هـذا الصوت على الفنوغراف فسمعته وعرفت منه لأول مرة كيف تتحدث، وما هو الوقع الذى يمكن أن يكون من صوتها . فإننـا نعيش السنين الطويلة ومع ذلك لا يتاح لأحدنا أن يعرف صوته أو يسمعه كما يسمعه غيره . ولذلك لا نعرف عيوبنا كما لا نعرف ميزاتنا الصوتية . فهو حين نسمعه على الفنوغراف يبدو لنا كأنه اكتشاف جديد . فنصلح من هـذه النبرة العالية التى تشبه الغضب ، أو هذه النغمة المساوخة أو هذا التنحنح الزائد أو هـذه اللعثمة المتكررة . . وقد يكون علاج هذه العيوب أن نتعود قراءة بعض الفصول من الإنشاء الفصيح حتى تؤدى الحروف واضحة بمخارجها فى نغمة مقبولة . ومهما يقل أحدنا فى الصوت فإن مما لا نكران فيه أننا أحيانا نستخف ظل أحد الأشخاص أو نستثقله لأننا نجد فيه رقة أو خشونة أو فصاحة أو فهاهة . ولذلك يعدّ الصوت الحسن جزءا من الشخصية الحسنة . بل لعلنا لا ننسى أن للشخصيات الفذة لغة فذة تكاد تكون خاصة .

٢ — ثم أدخلت المكاتبة غرفة أخرى حيث أجرى لها اختبار آخر فى الكتابة من حيث الإنشاء والخط وكيف تراسل أصدقاءها أو صديقاتها، أو كيف تطلب عملا أو ترفض طلبا . وما الذى تدل خطابتها عليه من حيث مركزها الاجتماعى أو درجة ثقافتها أو منطق تفكيرها . فإننا نرسم فى أذهاننا صورة للشخص الذى يراسلنا من خطاباته وان لم نعرفه، وان لم نكن قد التقينا به من قبل . وكثير من أعمالنا يجرى بالمكاتبة فاذا أهملنا الوقع السيكلوجى لها فاننا نخسر بمقدار هـذا الاهمال . فيجب مثلا ألا يحتوى خطابنا على أغلاط نحوية أو لغوية كما يجب ألا يكون سيئ المنطق والترتيب ، مشوشا لا يعرف قارئه قصـدنا الذى نريد تعيينه . وليس المقصود أن نكون جميعنا أدباء نحسن الانشاء المبتكر و بسط الفكرة العبقرية ولكن يجب أن يكون كل منا على شىء ولو قليل من هذا . وهنا نصح للكاتبة بعد أن عرضت عليها أخطاؤها المختلفة بأن تقرأ بعض الكتب وتدرس بعض القواعد وتراعى العناية هنا وهناك .

٣ — و بعد ذلك أدخلت فى غرفة ثالثة حيث اختبرت كفاءتها الاجتماعية . فاننا نختلط بالناس سواء فى المكتب أو النادى أو المتجر أو المصنع . فاذا لم نسلك سلوكا اجتماعيا مرضيا فاننا نصادف من الناس إعراضا وتجنبا بل نبذا ، ويتحامى رفقتنا ، ولا تقول صداقتنا ، الزملاء و يستثقلون ظلنا . ولهذه الحال أثرها فى نجاحنا . وأحيانا نستضيف الناس أو نستضاف منهم ولكل مجتمع عاداته التى يحترمها و يستمسك بهـا كأنها شعائر مهما تكن صغيرة تافهة . فان لكلمات التحية والمؤانسة على فنجان الشاى قيمة اجتماعية بل إن لحركات الترحيب وايماءات الحديث من بشاشة أو غلظ ، ما يحدث أحسن الأثر أو أسوأه . وكل هـذا يدرس وتعين الأخطاء فيه لكى تستصلح فيما بعد وتتوقى . وهناك ذلك الحيى الذى يرتبك ويضطرب عند لقائه لأحد الغرباء يحدثه وهو يفرك يديه و يجيب افرط اضطرابه على غير سؤاله . كما أن هناك المتشطط الذى يرفع صوته و يجادلك وكأنه يشتمك الى غير هذا من عيوب الاجتماع .

٤ — واختبار آخر للشخصية هو الهندام . فاننا نحكم على الناس قبل أن نحدثهم بهندامهم بل أحيانا نستطيع أن نقرر الطبقة الاجتماعية التى ينتسبون اليها من اختيارهم للحذاء أو رباط الرقبة . وهناك من لا يبالون هندام الشعر قصا واحتلاقا أو يتخذون من الأزياء مالا يوافق بدانتهم أو نحافتهم . والرياضة البدنية تدخل هنا، إذ هى تعين هندام الجسم وتقيه من التضخم أو الترهل اللذين يكسبان الانسان ظلا ثقيلا . وكثير من ذوى الشخصيات الناجحة يتخذون زيا خاصا يعرفون به كأنه سمة أو سيماء .

٥ — وقريب من هذا الاختيار اختيار القوام . فان كثيرا من الناس يسيئون الاعتدال سواء فى الوقوف أو القعود . فأحدهم يقعد كأنه منهار على نفسه . وليس هذا بالطبع كذلك.

الذي يقعد مستوفزا يلق فى روع من يحدثه النشاط واليقظة. وهناك من يتعود طلاقة الوجه فى حين يتعود غيره التجهم والغلظة .

٦ — وآخر الصفات للشخصية الموفقة الناجحة تلك الكفاءة الذهنية والفنية . وهى بالطبع لا تبدو فى الحديث الأول كما قد لا يقدرها جميع الناس. ولكنها تتضح بالمعاملة وزيادة التعارف . لأن صاحبها ينتهى بأن يصير محط الأنظار يستشار و يعتمد على رأيه وينصت الى نصيحته وخبرته .

هذا هو الاختبار الذى تجريه إحدى العيادات الأمريكية للفحص عن عيوب الشخصية. وتقول الكاتبة التى روت ما حدث لها فيها إنها بعد أن وقفت على هذه العيوب استطاعت أن تغير شخصيتها وأن تصير امرأة جديدة. و بعد أن كانت تجد أبواب الرزق مقفلة فى وجهها صارت تجد الإقبال والترحيب بعملها .

وللتلخيص نقول إن الشخصية الناجحة التى تخدم صاحبها وتؤدى به الى تحقيق أطماعه يجب أن تراعى فيها هذه الأشياء الستة : الصوت . الكتابة . الاجتماع . الهندام . القوام . الكفاية الذهنية والفنية .

قال الحسن البصرى :

لسان العاقل و راء قلبه فاذا أراد أن يتكلم فكر ، فان كان الكلام لصالحه قال ، و إن كان ضده سكت . وقلب الأحمق وراء لسانه فاذا تكلم خلط بين ما ينبغى وما لا ينبغى .

وسئل : كيف ترى الدنيا ؟ فأجاب : " شغلنى توقع بلائها عن الاستمتاع بخيرها والفرح برخائها " .

قال الحكيم الفرنسى لاروشفوكو : "قد نعترف بهفواتنا الصغيرة لنوهم الناس أن ليست لنا هفوات كبيرة " .

أغراض التربية الأمريكية

ومثلها العليا

للدكتور تشارلس وطسن

رئيس الجامعة الأمريكية بالقاهرة

ألقى المربى الجليل الدكتور تشارلس وطسن رئيس الجامعة الأمريكية بالقاهرة فى ٣١ مايو الماضى لمناسبة الحفلة السنوية لتوزيع الإجازات المدرسية محاضرة قيمة على طلاب هذه الجامعة ، شرح فيها الأغراض التى تسعى اليها التربية الأمريكية والمثل العليا التى تعمل على تحقيقها .

ولقد مهد المحاضر لمحاضرته بكلمة عن مغزى إنشاء المعاهد الأمريكية فى مختلف بلاد الشرق والغرب فقال :

"كثيرا ما دارت بخلدى هذه الفكرة : بم تجيب إذا سئلت عن الباعث على إنشاء الجامعة الأمريكية ؟ ولا يخفى أن هناك فى مصر معاهد تعليم يونانية وأخرى إيطالية ، وغيرها لجنسيات مختلفة . أقول إن هذه المعاهد قد أنشئت خصيصا لتعليم أبناء هذه الجنسيات ، وذلك على النقيض من معهدنا هذا الذى لم تبلغ فيه نسبة الطلبة الأمريكيين يوما ما نصفا فى المائة من مجموع الطلبة . إن إنشاء هذا المعهد والانفاق عليه يعبران عن مبدأين ، وهما إيمان أمريكا بمثلها العليا وما يعود على الانسانية بأسرها من هذه المثل ، وشعور أمريكا بمسئوليتها فى مشاركة الغير كل ما عاد على حياتها بالنفع والبركة .

على أن مصر ليست الوحيدة بين البلدان التى أنشئ بها معهد أميركى ، فلا بد أن يكون بين الحاضرين من هو على علم تام بالجامعة الأميركية فى بيروت ، وكلية (روبرت) فى استنبول . وأستطيع أن أنتقل بكم الى كلية باكين الطبية فى الصين التى ينفق عليها أولو الخير فى أمريكا مالا يقل عن ٢٥٠ ألف جنيه مصرى سنويا . وأستطيع أن أشير إلى ١٤ جامعة وكلية أخرى فى الصين ، و ١٦٣ مستشفى ، يبلغ عدد أسرتها ٨٣٨٤ ، وكلها ثمرة ذلك الشعور الإنسانى بمقاسمة الغير فى الخارج كل ما كان من نعمة لأمريكا وبركة فى الداخل .

ولقد ذكرت الصين من قبيل التمثيل ، لأن الأرقام فيها أشد استرعاء للانظار منها فى غيرها من البلدان ، غير أن الخدمات العلمية التى تؤديها أمريكا ، لها أمثلة عدة فى اليابان والبرازيل وبيرو والمكسيك ، وتتعداه إلى بلدان أخرى فى أوروبا كإيطاليا وفرنسا .

ولست فى حاجة إلى أن أؤكد لكم أن أمريكا لاتبغى من وراء هذا النشاط الخيرى أغراضا استعمارية ، توسيعا لممتلكاتها ، ولا ترمى إلى أهداف تجارية أو منافع اقتصادية .

كنت أبحث أخيرا عن صديقين فى تركيا ، أحدهما رئيس كلية روبرت ، وثانيهما مدير المستشفى الامريكى فى استنبول ، وكانا متغيبين عن محل عملهما .

فاتضح لى أن أحدهما سافر إلى أمريكا لجمع التبرعات لتعمير القرى التى خربتها الزلازل ، وسافر الثانى إلى المنطقة التى كثرت فيها الزلازل ، تطوعا منه لإسعاف المنكوبين الذين عانوا تلك المأساة القاسية .

لقد ذكرت لكم هذه الوقائع تمثيلا لروح الإنسانية التى تشعر أمريكا أنه لزام عليها أن ينعم بها غير مواطنيها .

وهذه الروح عينها هى التى أوحت إلى القائمين بشؤون الجامعة الأمريكية بالقاهرة وجوب الإتيان بها إلى الوجود . فكل ماتملك أمريكا من مثل عليا ، تريد أن يكون للغير نصيب منها ، ولكنها لاتكره أحدا على قبولها .

وغاية مافى الأمر أنها تضع هذه المثل فى متناول من يريد وتعرضها عرضا يستطيع بوساطته من شاء أن ينتفع بما انتفع به أهل أمريكا من قبل .

فهل فى هذا الرأى من غرابة ؟ ألم ينتفع العالم من قبل بما عم فى مصر من فيض وبركة ؟ وكم أثر فى نفسى ماشاهدت فى قلب مدينة نيويورك من معهد يابانى أنشأته اليابان خصيصا لتحمل إلى أمريكا بوساطته رسالتها وخططها الثقافية ! وبهذا يجرى ذلك التيار الإنسانى بين بلدين ، طالما توافرت المودة وحسن النية بينهما "

ثم انتقل المحاضر من هذه الكلمة التمهيدية إلى التحدث عن المثل العليا الثلاثة التى وجه إليها الأمريكيون أشد عناية ، فقال :

"أولا — تنشئة الفرد : لاتزال توجد فى أمريكا مساحات واسعة من الأرض الصالحة للزراعة لم تزرع ، وثروة معدنية وافرة لم تمس ، ومعين لا ينضب من الزيت لم يكرر ، ولكن الاعتقاد السائد هناك أن هذه كلها لاتعد شيئا إذا قيست بثروة قومية أخرى لم تكشف بعد ، ولم تستثمر ، ألا وهى تلك القوة الدفينة الكامنة فى شخصيات ٤٧ مليون نسمة من شبيبة البلاد ، أبناء المستقبل وبناته .

كثيرا ما أشاهد فى القرى المصرية وأنا أقطع المسافات سفرا بالسيارة أو السكة الحديدية ، ألوف الأطفال من أبناء الفلاحين ، البعض فى ثياب رثة ، والبعض لا يرتدى

غير ثوب واحد فضفاض ، وكثيرا مايلوح لى أن شغل هؤلاء الشاغل هو أن ينظروا إلى جاموسة عن كثب .

وكثيرا ماتحدثت إلى هؤلاء الأطفال فاذا بى ألمح بريقا فى وجوههم ، وشدة ملاحظة فى عيونهم ، وذكاء فى عقولهم ، فضلا عن قدرة على المزاج والنكتة لانقل فيهم عنها فى أحدنا. وكثيرا ماقلت لنفسى : إن أغزر ثروة فى مصر لاتزال كامنة لم تكشف !! .

وليست تلك الثروة حول البحر الأحمر حيث توجد آبار الزيت ، وليست فى مستنقعات الدلتا الملحة حيث لاتزال مساحات واسعة منها تعوزها المصارف ، وليست فى المرافق الصناعية والتجارية التى هى فى دور التكوين على أهميتها .

إنما هذه الثروة الغزيرة التى أشير إليها هى تلك القوة الكامنة فى ذلك الجيش الجرار من البنين والبنات ، عماد الجيل المستقبل البالغ عددهم نحو ستة مليون نسمة . لنستثمر هذه الثروة الدفينة التى لم تتكشف بعد ، تلك الثروة الكامنة فى حياة الفرد ، وبذلك نشيد أساسا لاحدّ لقوته ، نضع دعامة لعظمة قومية لاحدّ لاتساعها ، لنفعل ذلك وكل ما نريد بعد ذلك يأتى تباعا .

هذا هو المبدأ الأول أو المثل الأعلى للتربية الأمريكية : تنشئة الفرد ، على أننى أوجه أنظارهم إلى أن كل نوع من أنواع التربية لايعمل على تنشئة الفرد .

فكثيرا ما يسود فى الجو المدرسى الروح الحربى الذى تتهم به بعض الدول اليوم. فى مثل هذه المدارس لايعترف بالفردية ، بل بالجماعة أو الفرقة . فالفرقة (المدرسية) هى التى تجتمع ، والفرقة هى التى تقف ، وهى التى تنصرف . ما أعظم الفرق بين جو مدرسة كهذه ، وآخر فى مدرسة يحس الطالب فيها بأنه فرد يستمتع بشخصيته ، ويعرف أنه أحمد أو حنا ، اسحاق أو ادوارد ، يوسف أو اسكندر . فلا يشير إليه أحد بأصبع إشارته إلى نكرة قائلا : " قف للتسميع أيها الشاب النابه ، أو اجلس أيها الغبى " .

وتنشئة الفرد تتطلب روح البحث الشخصى . نفهم كمعلمين الصعوبات والأخطار التى تتأتى من إلقاء الأسئلة فى حجرة الدراسة . فهناك الطالب الذى يحتال على المعلم باشكار الأسئلة والتظاهر برغبته فى البحث ، تغطية لعجزه عن إعداد الدرس .

وكثيرا مايستغرق الزمن الأسئلة فلا يكون هناك متسع لإيفاء الدرس حقه ، كما أن الأسئلة كثيرا مانكون من قبيل التحدى للعلم الذى يجب أن تتجاوز معلوماته مادة الكتب المقررة ، وكثيرا مايحاول المعلم أن يستر جهله بعدم منح الفرصة لإلقاء الأسئلة .

من أكثر الأشرطة السينمائية فائدة شريط شاهدته فى نيويورك قبل مغادرتى إياها بشهور قليلة ، عن حياة توماس أديسون . فقد أدهشنا ماطبع عليه أديسون من حب الاستطلاع ، حتى أن الحيران قد خابت آمالهم فى ذلك الفتى الذى كان يحاول على الدوام القيام بأعمال شاذة بعضها من الخطورة بمكان ، والبعض الآخر مثير للعواطف ، وقد فصل من المدرسة وكان أبوه بين الذين أخذوا يعارضونه ، ولم يقف فى صفه سوى أمه وأخته .

قيل إن أديسون سأل مرة أباه سؤالا كعادته فى إلقاء الأسئلة بغير انقطاع ، فأجاب الأب " لا أدرى " فعقب عليه الابن بسؤال آخر قائلا : (ولم لا تدرى ؟). أسلم جدلا بأن السؤال الأخير لايدل على مراعاة الكرامة فى شئ ، إلا أن هذا هو الثمن الذى يجب أن ندفعه إذا ما أطلقنا لتنشئة الفرد العنان " .

وبعد أن تكلم المحاضر عن عطف أمريكا على مبادئ حرية الفكر والعقيدة ، وتخطيها على المبادئ الدكتاتورية التى يستحيل معها الفرد إلى ترس فى دولاب الدولة لايعمل إلا لمصلحتها ولا يفكر إلا بعقلها انتقل إلى النقطة الثانية من مثل التربية الأميركية العليا ألا وهو تربية الشعور الاجتماعى الكافى . فقال :

" يحتمل أن التربية الأميركية منذ عشرين عاما مضت كان ينقصها شيء من التوازن ، حتى أنه كان يطلق عليها اسم " الفردية العنيفة " . لقد ولى ذلك الزمن وأعيد التوازن إلى نصابه . ومن المسلم به اليوم أن الفرد ينبغى أن يعتقد القيام بواجبه نحو المجتمع عامة ، نحو الجماعة المحلية ، ونحو الدولة إن الصورة التى رسمها لنا روسو فى مؤلفه " العقد الاجتماعى " صورة فاسدة ، فقد عزف مسألة الحكم كالآتى :

" الحكم هو ايجاد ذلك النوع من الجماعة ، الذى يستطيع أن يحمى بجميع القوى المشتركة شخص المحكوم ومتاعه ، وفى مقابل ذلك يصبح المحكوم ، رغم اتحاده مع الجماعة ، حرا كما كان قبل اتحاده معها ، لايطيع إلا ذاته " إن تعريف الفردية بكيفية لايطيع الفرد بوساطتها سوى ذاته ، يؤدى حتما إلى هدم المجتمع وتفكيك عرى الأمة . فالتربية إذا ينبغى أن تخلق الشعور الاجتماعى فى الطالب كفرد من الأفراد .

وقد يدهشكم ما وجهت إليه المدارس الاميركية الثانوية عنايتها من تقوية هذا الشعور الاجتماعى . أذكر أن ابنى عند ما التحق بالسنة الأولى بمدرسة ثانوية فى أميركا ، كان ربع الزمن فى تلك السنة مخصصا للمواد الدراسية التى يطلق عليها اسم « التربية الوطنية » على أن الدراسات وحدها لاتكفى بل يجب أن تصحبها مشاهدات عملية خارجية ، وذلك

بدرس أحوال الجماعات . وهذا ماعنى به معهدنا هذا . فدراسة الأحوال الصحية ، وأسباب الفقر ، والمسائل الاقتصادية ، برحلات يقوم بها الطلبة فى القرى والأحياء المنكودة الحظ فى القاهرة ، والمنشآت الخيرية والاصلاحية — كلها تنال ما هى جديرة به من العناية .

دعونى أبين لكم أهميـة هذه المسألة فى التعليم العـام ، فى مصر وأمريكا على السواء . إن مصر كولايات أمريكا المتحدة تستمد مجدها وقوتها من كونها أممية ، مختلطة فى ثقافتها ، مختلطة فى سلالتها . كنت منذ سنوات أخاطب جماعة من السياح فى فندق شبرد ، وفى آخر المحاضرة وجهت إلى سيدة هذا السؤال : "أرجو أن تقول لى يادكتور وطسن من هو المصرى" فأجبتها "أجل ياسيدتى أقول لك ذلك إذا قلت لى من هو الأمريكى" وأخذت أشرح للحاضرين كيف أن مصر وهى فى مفترق الطرق فيما يتعلق بالثقافة العالمية ، والأديان ، والحضارات قد تدفق إلى حياتها العامة ، كثير من مدنيات الأمم الأخرى ، ومع ذلك استطاعت كأميركا أن تكون من هذا شخصية قائمة بذاتها ، وهى ما نسميه اليوم "المصرى" .

وعرج الدكتور وطسن على العناصر والسلالات التى اندمجت فى العنصر المصرى وامتزجت به ، ونوه برأيه فى فائدة اجتماع هذه العناصر فى صعيد واحد ، وربطهم بأواصر الصداقة المشتركة حتى ينتزعوا من نفوسهم كل عداء سلالى أو دينى . ثم انتقل الى المثل الأعلى الثالث فى التربية التى تعيره التربية الاميركية أو فى نصيب من العناية وهو تكوين الخلق . قال :

"من الناس من يعتقد أن وظيفة التربية تتصل بالعقل دون سواه . فهؤلاء يظنون إذن أن المدرسة ليست إلا مكتب استعلامات . وليس الأمر كذلك فى أميركا . هناك تعنى المدرسة بالحياة كاملة ، بالسلوك والمعرفة ، بالخلق والعقل على السواء . أذكر أنى نلت حظوة المثول بين يدى المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول ، وكان من الأقوال التى شدد عليها النبرة فى حديثه ، فكان لها شديد الأثر فى نفسى ، إشارة جلالته إلى المدرسة التى تزعم أنها تربى طلبتها تربية خلقية ، فى الوقت الذى يعلم فيه طلبتها أن معلميها يعيشون عيشة فاسدة . ألم تكن هذه الإشارة مصداقا لقول أمرسون « المأثور أن حقيقة أمرك تنادى بأعلى صوتها ، فلا أستطيع أن أسمع ماذا تقول » .

وهنا يجدر بنا أن نتساءل عن معنى التربية الخلقية ، إن نظرة سطحية إلى هذا الموضوع تبين لنا أن كثيرا من معاهد التعليم اليوم تستغل هذه المسألة ، وتزعم أنها تربى تلاميذها تربية خلقية ، وهى فى الواقع لا تفعل ذلك . وكل ماتعنى به هذه المدارس هو أن يطيع تلاميذها الأوامر المدرسية التافهة ، وأن يكونوا مؤدبين أمام مدرسيهم ، وأن يهبوا واقفين عند دخول الزائرين فى الحجرة وهكذا . فهل هذا ماترمى إليه التربية الخلقية ؟ كلا . نعم وإن كان لابأس

من العناية بهـذه المسائل ، إلا أن التربية الخلقية تعنى قبل كل شيء بالمبادئ لا بالقوانين المدرسية التافهـة . الأخلاق تعنى بالصدق والأمانة وحفظ العهود ، والعلاقة الشريفة بين الجنسين ، واستعمال الثروة فى وجوهها المشروعة وتأدية الواجب بالأمانة ، والاخلاص للوطن . هذه هى المسائل الخلقية الأساسية التى ينبغى أن يتأهب لها النشء وكل من هـذه المسائل الخلقية التى تحدثنا عنها تحتاج إلى الدرس والايضاح والمناقشة ، الى أن يلم الطالب بالخطأ والصواب ، ثم يوطد العزم على القيام بالصالح من الأعمال . وليس من السهل أن نضع المواد الدراسية اللازمة للتربية الخلقية . ومع اعترافنا بوعورة هذا العمل ، فاننا ندرك أهميته ، فلا غرابة اذا خصصنا لكلية الآداب والعلوم أستاذا يعينه آخرون ، لبث التربية الخلقية .

ولنعلم فوق ذلك أنه من المحـال أن يقتنع طالب بمبدأ خلق (حتى يصبح ذلك المبدأ جزءا منه) ، ما لم نطلق له الحرية التـامة فى مناقشة هذا المبـدأ . فاذا ما وضعنا أمام الطالب مجرد مبادئ خلقية بصفة قاطعة جازمة وحسب ، فإنه قد يستظهرها ويجوز فيهـا امتحانا بنجاح باهر ، ولكنه لن يتخذ منها نبراسا يهتدى به فى حياته اليومية ، ولكن إذا أتيحت له الفرصة لمناقشة هـذه المبادئ ، حتى و إن حاول أن يتحداها ، فإنا نأمل فى هذه الحالة أنه يلج ميدان الحياة مسلحا بتلك المبادئ ، لأنه بهذه الكيفية يكون وثيق العقيـدة بجدارتها ومرونتهـا ، خصوصا إذا كانت دراسة المبادئ الخلقية هـذه تطبق تطبيقا على الوقائع اليومية التى تقع تحت حسه ، ونعيـد ما سبق فأومأنا إليه من أن الدرس والمناقشة وحدهما لا يكفيان لتكوين الخلق ، ما لم يقترنا بالممـارسة والعمل . مثال ذلك أن الطالب الذى يدرب على مبادئ الأمانة فى لعب كرة القدم ، يشب فى الغالب أمينـا إذا ما أصبح موظفا فى بنك مالى ، وقول الصدق فى ساحة اللعب ، تجعل من المتصف بها فى الغالب رجلا من رجال الأعمال ممن تقوم كلمة يتفوه بها مقام حوالة مالية " .

ثم اختتم المحاضر محاضرته بقوله :

" ولم يبق لدى فى الختـام إلا هذه الكلمة الوجيزة . فى هذه المرحلة الخطيرة فى تاريخ الإنسانية ، يصعد دعاؤنا إلى الله تعالى حتى تنتصر هذه المثل العليا ، وهى عظمة الفرد ، والشعور الاجتماعى الإنسانى المطلق الحرية ، والأساس الخلقى القويم للحياة وعلائقها الصالحة إن نفوسنا لتصبو إلى عالم تسود فيه هذه المثل فتصبح حقا لجميع الأفراد والشعوب " .

التعاون المنزلي في مصر

للدكتور ابراهيم رشاد بك

مدير التعاون

التعاون المنزلي أو التعاون الاستهلاكي هو تعاون المستهلكين للحصول على حاجاتهم المعيشية من صنف جيد ، وبسعر معتدل ، وبوزن أو كيل عادل مع حذف حلقة الوسطاء كما هي الحال في جميع ضروب التعاون .

وقد ظل التعاون المنزلي في مصر زمنا وهو مفتقر إلى العناية الواجبة . ويرجع ذلك إلى عوامل شتى أهمها كون البلاد زراعية ثم صدور قانون التعاون السابق (قانون سنة ١٩٢٣) قاصرا على الجمعيات التعاونية الزراعية ، ويرجع كذلك الى جعل الهيئة المشرفة على الحركة التعاونية تابعة لوزارة الزراعة إلى عهد قريب .

غير أنه إذا أريد الكمال لأية حركة تعاونية وجب أن تقف على قدمين من التعاون الزراعي والتعاون المنزلي، ذلك لأن كلا منهما يكمل الآخر، والزراع هم أيضا مستهلكون كبقية طوائف الشعب .

ومن ثم اهتم قسم التعاون — منذ صدور قانون التعاون سنة ١٩٢٧ شاملا جميع أنواع التعاون — بانشاء عدد من الجمعيات التعاونية المنزلية في مختلف المدن والبنادر ، وشجعه نجاحها واطراد تقدمها على تأسيس عدد آخر من تلك الجمعيات ، وخصوصا بعد أن صار مطلق اليد في تأسيس جمعيات تعاونية غير زراعية إلى جانب الجمعيات الزراعية التي مضى قدما في نشرها .

ويبلغ عدد الجمعيات التعاونية المنزلية في مصر في الوقت الحاضر ٥٠ جمعية منتشرة بين الاسكندرية وأسوان بل ممتدة إلى وادي حلفا إذ أنشئت جمعية تعاونية منزلية في "عنيبه" ويبلغ عدد أعضاء الجمعيات ٨٠٠٠ عضو، ورءوس أموالها واحتياطيها ٥٠,٠٠٠ جنيه وقيمة معاملاتها نحو ١٥٠ ألف جنيه في السنة .

ومن هذه الجمعيات طائفة توجد في بعض المدن الكبيرة كالاسكندرية والاسماعيلية والمحلة الكبرى وشبين الكوم والمنيا وأسيوط وسوهاج ، ومنها عدد قائم في البنادر مثل

مغاغة وملوى ودكرنس ، ومنها جمعيات صغيرة شكلا كبيرة نفعا فى مواطن " الطامبات " التابعة لوزارة الأشغال وهى بطبيعتها نائية عن العمران ، وهـذا هو الذى كان يغرى التجار باستغلال موظفيها وعمالها ، وقد وجد الموظفون والعمال النجاة من طمع أولئك التجار منذ اليوم الذى أنشأوا لأنفسهم فيه جمعيات تعاونية منزلية تؤدى لهم كثيرا من الخدمات .

وهناك أيضا جمعيات تعاونيـــة زراعية شعرت بحاجة أعضائها من الزراع إلى التعاون المنزلى فأنشأت كل منها دكانا للحاجات المنزلية تابعا لها ، وهناك جمعيات لم تتمكن من إنشاء دكاكين لتلك الحاجات المنزليـة ، ولكنها قامت بحصر مطالب أعضائها فى تلك الحاجات وتوريدها لهم وخاصة فى شهر الصوم والأعيـاد . وتورد جميـع هذه الطوائف من الجمعيات التعاونيـــة لأعضائها أصناف البقالة على اختلاف أنواعها ، ويورد بعضها الخضر والفاكهة واللحوم والمنسوجات والخردوات والوقود .

ولم تغفل تلك الجمعيات عن الناحية الاجتماعية من التعاون ، فأنشأت إحداها ، وهى جمعية الاسماعيلية ، دارا للسينما تعد أفخم دار فى المدينة ، وأنشأ بعضها أندية وملاعب رياضية . وساهمت كلها فى مواساة المعوزين من أعضائها وكذلك أسرهم .

وقد أثمرت الجهود التى بذلت لتأسيس جمعية تعاونية منزلية لمدينة القاهرة برأس مال كبير ، وتم تسجيلها وسيكون لها محل مركزى فى وسط المدينة وفروع فى مختلف الأحيـاء وتم كذلك تحويل شركة التعاون المنزلى للموظفين بالاسكندرية — وهى كبرى شركات التعاون التى ألفت فى عهد المغفور له «عمر لطفى» — الى جمعية منزلية خاضعة لقانون التعاون .

والمنتظر أن تتوج حركة التعاون المنزلى بعد ذلك بتأسيس جمعية تعاونية مركزية للاتجار بالجملة على غرار جمعية الاتجار بالجملة فى انجلترا لكى تورد للجمعيات المنزلية المختلفة كل ماتحتاج اليه من أصناف البضائع .

الخدمات الاجتماعية :

لقد أجمع التعاونيون فى أنحاء العالم على أن الجمعيات التعاونية اذا لم تكسب لنفسها فوق خدماتها المـالية لسواد أعضائها فضلا آخر كأن تكون أداة للاصلاح الاجتماعى ضعف أثرها المنشود فى خلق نظام من نوع جديد أرغد عيشا وأسعد حالا من النظام السائد .

وقد نص قانون التعاون فى مصر على وجوب تخصيص نسبة مئوية من صافى ربح الجمعيات للقيام بالخدمات الاجتماعية فى مناطق أعمالها ؛ وتظهر هذه الخدمات فى النواحى الآتية :

١ — نشر التعليم .
٢ — رفع المستوى الخلقى .
٣ — تحسين الصحة العامة .
٤ — تجميل القرية .
٥ — تيسير وسائل المواصلات .
٦ — التضامن الاجتماعى .

نشر التعليم :

ولما كان نشر التعليم بين أفراد الشعب من أهم الدعائم لنجاح الحركة التعاونية حولت الجمعيات غايتها الى إنشاء المدارس النهارية لتعليم النشء أصول القراءة والكتابة ، وعملت فى الوقت نفسه على إنشاء فصول ليلية لتعليم الأميين من الفلاحين والعمال تلك الأصول ليصبحوا مواطنين نافعين يعرفون حقوقهم والتزاماتهم نحو الوطن .

وقد أنشئت قاعات المحاضرات ، ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم رغبة فى إصلاح النفوس وتلقين الناس فضائل الدين وآداب المعاملة ، وأسست المدارس الصناعية للنسج يتعلم فيها أولاد القرية الصناعات المفيدة التى تزيد موارد الفلاح وتسعد حاله .

وأسست بعض الجمعيات مكتبات عامرة بالمؤلفات النافعة وهى لا تقنع بالقاصدين اليها بل تعير الكتب كذلك لمن يشاء . ولما كانت الجمعيات تقدر أثر الراديو فى تهذيب النفوس والترويح عنها بما يذيعه من آيات الذكر الحكيم ، ومن المحاضرات القيمة والارشادات الغالية ومن الموسيقى والغناء ، فقد اقتنى كثير منها أجهزة الإذاعة وأخذ ينفق على إدارتها من صندوق المعونة الاجتماعية .

رفع المستوى الخلقى :

أما رفع المستوى الخلقى فيتضح من أن الجمهور التعاونى أحسن تثقيفا وأكثر تعلقا بروح النظام من الجمهور العادى ، وقد تحسنت طرق التعامل عند الأعضاء بفضل تدريبهم عمليا على طرق الادارة والتجارة الحديثة ، ويساعد التعاون كذلك على المساواة بين الأعضاء وتفهيمهم مزايا الديمقراطية ومبدأ الحكم الذاتى .

وقد ساعدت لجان المصالحات على استتباب الأمن وبث روح الوفاق بين الأهالى بمساعيها القيمة للصلح بين الأسر المتعادية لإزالة أثر ما يقع بينها من مشاحنات ، وما يرتكب من جرائم .

تحسين الصحة العامة :

ولت الجمعيات التعاونية وجهها شطر هذه الناحية فعمدت الى الاتفاق مع بعض الأطباء على علاج المرض وبذلت جهودا تذكر فى تطهير الترع وردم البرك والمستنقعات واصلاح دورات مياه المساجد وبناء المراحيض الصحية واقامة خزانات المياه الصالحة للشرب والآلات الرافعة لاستعمال مائها فى الشئون المنزلية محافظة على صحة الأهالى وتفاديا من شرب المياه الآسنة التى تسبب الأمراض المختلفة .

وترعى الجمعيات الشئون الصحية بكل وسيلة مستطاعة ، ومن ذلك مبادرة عدد غير قليل منها الى إنشاء صيدليات صغيرة جهزتها بالأدوية الضرورية التى تدعو اليها الحاجة لإسعاف الأعضاء وغيرهم من الأهالى .

ولم يفت بعض الجمعيات إقامة النوادى الرياضية لتشجيع الألعاب وتقوية الأجسام وبث الروح الرياضية والصحية بين الناس .

تجميل القرية :

وتعنى الجمعيات بإصلاح المساجد وتعبيد الطرق و إنشاء المتنزهات العامة و إقامة مقرات للجمعيات تتوفر فيها الشروط الصحية ، وتكون نموذجا حسنا للقرويين عند بناء بيوتهم لتوفر عناصر الراحة والاقتصاد فيها .

وتهتم كذلك بشراء المصابيح لإنارة شوارع البلدة حتى لا تظل فى ظلام ، وهى بهذا تؤدى للأمن خدمة لا يستهان بها ، وتشترى «الجرادل» لاستعمالها فى مقاومة الحرائق .

وتعمل على تجديد منازل القرية مع تشييدها بالطوب والجير ، وفقا للتصميمات الحديثة وبطريقة خاصة وضعت لهذا الغرض .

تيسير وسائل المواصلات :

تسعى الجمعيات التعاونية لدى السلطات فى كل ماينفع الناحية، مثل إيجاد مكتب البريد أو التليفون أو التلغراف أو محطة سكة حديد ، وبذلك توفر على الأعضاء وغيرهم مؤونة الانتقال إلى جهات بعيدة لهذه الأغراض .

هـذا إلى جانب ما تقوم به من إنشاء الجسور لصد هجمات الفيضان من جهة ومنعا من عزلة القرى عن الطرق الرئيسية فى هذا الوقت من جهة أخرى .

ويقتنى بعضها السيارات لخدمة أعضائها فى تنقلاتهم أو نقل أولادهم إلى المدارس البعيدة عن الناحية، ولدى معظم الجمعيات تليفونات تصل بين القرى والبنادر والمدن فتسهل للأعضاء الاتصال والمخابرة مع مختلف الجهات .

التضامن الاجتماعى :

كذلك تسارع الجمعيات التعاونية إلى اجابة نداء المروءة ، وإغاثة المعوزين فتتبرع مثلا بتكفين الموتى من الفقراء ، وإطعام المئات من الأولاد والبنـات البائسين كما تكسوهم فى الأعياد والمواسم، وتمنح العاطلين من أعضائها إعانات مؤقتة حتى تزول أسباب تعطلهم وهكذا تقوم بمختلف أعمال البر والمواساة .

الإشراف على الحركة التعاونية :

تؤلف الجمعيات التعاونية فيما بينها فى كل دولة اتحادا عاما يكون لها بمثابة الرأس المفكر يتولى وضع الخطط العامة للحركة ، وتنسيق جهود التعاونيين ، ونشر الدعاية والتعليم التعاونى والإشراف على الجمعيات عامة ، ومراجعة حساباتها ، وتمثيل الحركة التعاونية والدفاع عن مصالحها ، وتكوين رأى تعاونى عام .

وتتولى مصلحة التعاون فى مصر مهمة الاتحاد التعاونى الى أن يصبح فى استطاعة الجمعيات التعاونية تكوين اتحاد تعاونى لها تمده بأموالهـا ، وتديره برجالها ، وتقوم المصلحة كذلك بتسجيل الجمعيات التعاونية وهى المهمة التى تتولاها الحكومة فى كل دولة .

ثمـانية تفاتيش :

وتنقسم المملكة المصرية إلى ثمـانية تفاتيش تعاونية تشتمل جميع المديريات والمحافظات ولكل منطقة مفتش ومراجع للحسابات أو مراجعان، وعدد من المنظمين التعاونيين يتناسب مع عدد الجمعيات وحركة العمل .

وفيما يلى بيان التفاتيش التعاونية ومقر كل منها والمحافظات والمديريات التابعة لها :

المنطقة	المحافظات والمديريات التابعة لها
البحيرة	البحيرة — الاسكندرية — المحافظة الغربية .
الغربية...	الغربية .
الدقهلية	الدقهلية — دمياط .
الشرقية...	الشرقية — القنال — السويس — المحافظة الشرقية .
المنوفية...	المنوفية .
الجيزة	القليوبية — الجيزة — الفيوم — بنى سويف — القاهرة .
المنيا	المنيا — أسيوط .
جرجا	جرجا — قنا — أسوان — المحافظة الجنوبية .

إحصاءات عن الحركة التعاونية

وفيما يلى بيان إجمالى عن حالة التعاون لغاية آخر ديسمبر سنة ١٩٣٩

نوع الجمعيات	عدد الجمعيات	عدد الأعضاء	رأس المال	الاحتياطى	المعاملات
			جنيه	جنيه	جنيه
جمعيات زراعية ...	٧٤١	٧٥,٨٠٠	١٩٤,٠٠٠	٦٥,٠٠٠	١,٠٩٠,٠٠٠
« منزلية... ...	٤٨	٨,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	٧,٥٠٠	١٥٠,٠٠٠
« مركزية للتوريد وتسويق الخضر والفاكهة ...	٥	١,٢٠٠	٢٦٠,٠٠٠	٢,٥٠٠	٦٠,٠٠٠
المجموع ...	٣٩٤	٨٥,٠٠٠	٢٦٠,٠٠٠	٧٥,٠٠٠	١,٢٠٠,٠٠٠

هذا ونرجو فى النهاية أن يثبت الله دعائم الحركة التعاونية ، وأن يجنبها العثار ، ويوفقها دائما إلى ما فيه خير هذا الشعب المصرى الكريم .

ابراهيم رشاد

مساهمة الأهالى

فى مشروع المراكز الاجتماعية فى الريف

للدكتور أحمد حسين

مدير ادارة الفلاح بوزارة الشئون الاجتماعية

لا يزال الكثيرون يسألون عن المراكز الاجتماعية فى الريف وعن مهامها وغاياتها ، وعن وجوب مساهمة الأهالى فى إقامتها . وإنى حيال ذلك أورد شرحا موجزا لهذا المشروع الذى يرجى من ورائه نفع كبير للريف ، وخير عميم للفلاحين . على أن أتناول بعد ذلك بشىء من التفصيل نصيب الأهالى فى تنفيذه وطرق مساهمتهم فيه .

ما هو المركز الاجتماعى ؟

المركز الاجتماعى مؤسسة من نوع جديد فى مصر تتركز فيها الجهود لخدمة الريف وأهله ويشمل نشاط المركز عشرة آلاف من السكان سواء أكانوا فى قرية واحدة أم قريتين أم فى ثلاث قرى متجاورة .

وسيراعى فى مبانى المراكز الاجتماعية أن تكون بسيطة قليلة التكاليف وتشمل مبانى كل مركز منها ما يأتى :

أولا — قاعة فسيحة تكون بمثابة منتدى للأهالى يجتمعون فيها للسمر وسماع الإذاعة والمحاضرات كتلقى الارشادات ومشاهدة أفلام السينما . وقد تستخدم القاعة أيضا كفصل ليلى لتعليم الأميين إن لم تهيأ المدرسة الالزامية لذلك .

وتلحق بتلك القاعة مكتبة قروية بها الكتب الدينية والزراعية والأدبية التى من شأنها التهذيب والإرشاد والتسلية . وكذا مكتب صغير للإعمال الادارية .

ثانيا — عيادة طبية وصيدلية لمعالجة الأهالى من الأمراض العادية ، خصوصا تلك الأمراض المنتشرة فى الريف التى تنغص حياة الفلاح وتقلل انتاجه . أما الحالات التى تتطلب اجراء عمليات جراحية فتحال إلى أقرب مستشفى .

ويتبع تلك العيادة حمام عمومى مؤلف من عدة أدشاش ومراحيض عمومية للرجال .

ثالثا — دار للأمومة. وتحتوى على غرف صحية قليلة مجهزة بحيث تمكن عددا من الحوامل أن يضعن فيها ويقمن أياما معدودة، فضلا عن عيادة للعناية بالأطفال. وتتبعها قاعة فسيحة تجتمع فيها الفلاحات لتلقى الإرشادات الصحية والاجتماعية، وتعلم الصناعات المنزلية الملائمة لظروف القرية. ويلحق بهذا البناء حمامات ومراحيض عمومية للنساء.

وسيراعى إعداد مساكن ملائمة لسكنى الموظفين حتى تتم لهم مسائل الراحة فيتفرغوا لخدمة القرية.

ويتبع المركز الاجتماعى طلمبات وآبار فى نواحى القرية لتوفير مياه الشرب النقية ومغسل عمومى للملابس، ومعدات رخيصة لإطفاء الحرائق، وأرض معدة لحفظ الحطب خارج القرية وغير ذلك من المرافق التى تحتاج اليها القرية وترق بتوافرها.

هذه صورة مجملة للمركز الاجتماعى بأقسامه وملحقاته. أما موظفوه فهم: طبيب يعمل طول الوقت ويقوم بالعلاج وصرف الدواء كما يقوم بالارشاد الصحى وتهيئة البيئة الصحية، وإخصائى زراعى اجتماعى عليه مهمة اقناع الفلاحين باتباع أحدث الطرق الزراعية بأحسن الوسائل لتربية الماشية والدواجن والسعى فى زيادة دخل الأهالى بإيجاد صناعات زراعية ومنزلية مثل تربية النحل ودود القز وحفظ المنتجات وصنع الجبنة وعمل الأسبتة والأقفاص والغزل وما شابه ذلك. ويقع على عاتق ذلك الاخصائى أيضا رفع المستوى الاجتماعى فى القرية وحث الأهالى على ترك العادات الضارة وتنظيم الزكاة ونشر الوئام والصفاء بين الأسر والأفراد. وهناك أيضا زائرة صحية عليها توليد الحوامل ورعاية الأطفال وإرشاد الفلاحات من الوجهتين الصحية والاجتماعية وتعليمهن أنواعا مناسبة من الصناعات المنزلية.

ويتبع هؤلاء الموظفين الرئيسيين مساعدون ومساعدات لخدمة أهالى القرية.

ولما كان الأساس الذى يقوم عليه عمل هؤلاء المرظفين جميعا هو خدمة الأهالى واقناعهم عن طريق القدوة الصالحة والاتصال الشخصى لا عن طريق الأمر والسلطة، فقد رئى إعدادهم إعدادا اجتماعيا فضلا عما كسبوه من الإعداد الفنى بحكم دراستهم وخبرتهم. ووضع لهم منهج دراسى خاص بمدرسة الخدمة الاجتماعية ويتلقاه الآن المتقدمون لشغل تلك الوظائف للاختيار منهم بعد ذلك؛ والغرض من هذا المنهج هو تعليمهم مبادئ الخدمة الاجتماعية الريفية وطرق القيام بها.

هذا بيان موجز عن المركز الاجتماعى وموظفيه، ويتضح منه أن هذا المشروع الجديد يرمى إلى خدمة الفلاحين من الوجوه الاقتصادية والصحية والاجتماعية فى آن واحد. وهو فضلا عن ذلك يتجه إلى إصلاح القرى وترغيد الحياة الريفية بتحسين المساكن وتوفير مياه

الشرب وتعبيد الطرق ونظافتها و إيجاد وسائل التنقيف والتسلية البريئة . فالقرية التى تحظى بمركز اجتماعى يتوخى هذه الأغراض جديرة بأن ترقى ، وأهلها جديرون بأن تتحسن أحوالهم .

وقد تقرر أن ينشأ فى هذه السنة ثلاثون مركزا اجتماعيا فى مختلف المديريات بالوجهين البحرى والقبلى ، على أن تعمم المراكز الاجتماعية فى جميع القرى فى السنوات التالية تدريجا بقدر ما تسمح به مالية الدولة ، فلا يمضى عدد من السنين حتى يخدم الريف ويخدم جميع أهله فيعم العمران وتنتشر المدنية الريفية وتحسن الصحة العامة ويكافح الفقر ويتحقق إن شاء الله كل نفع يرجى من هذا المشروع النافع .

وقد روعى ألا يكون مشروعا حكوميا ، وأن يشترك الأهالى منذ البداية فى تنفيذه وادارته حتى يأتى وقت توكل اليهم وحدهم إدارة المراكز الاجتماعية فى بلادهم ، ولا يكون على الحكومة سوى التوجيه الفنى والمعونة المالية .

وقد توخينا من اشتراك الأهالى فى المشروع أغراضا شتى تتلخص فيما يلى :

(أولا) ان الحكومة إذا أرادت القيام وحدها بمشروعات الإصلاح لتطلب ذلك منها مبالغ ضخمة لا تتسع لها المالية العامة .

(ثانيا) ان من أسس الاصلاح الاجتماعى أن يقتنع به الأهالى ويبذلون من جانبهم ما يستطيعون من جهد لتحسين أحوالهم وإلا فسدت نفوسهم وعمدوا الى التواكل .

(ثالثا) ان اشتراك الأهالى فى أعمال الإصلاح يضمن اقبالهم عليها وانتفاعهم بها كما يضمن بقاء هذه الأعمال وصيانتها على مر الزمن .

على أن مساهمة الأهالى فى مشروع المراكز الاجتماعية ستكون بحض رغبتهم وعلى قدر طاقتهم وانما يدفعهم اليها اقتناعهم بفائدة المركز الاجتماعى لبلدتهم وشعورهم بحاجتهم إلى صلاح أحوالهم من مختلف الوجوه .

وقد قدر ما يتكلفه كل مركز اجتماعى يخدم عشرة آلاف من الأهالى بمبلغ ٣٠٠٠ جنيه من جانب الحكومة فى السنة الأولى من انشائه ، فضلا عما يقدمه الأهالى من ضروب المساهمة المختلفة . واعانة الحكومة هنا شبيهة باعانتها للمدارس الحرة . أما فى السنة التالية للشروع فان تلك الإعانة تقل عن نصف ذلك المبلغ لعدم الحاجة الى إقامة المنشآت . وفى السنين التالية تقل تدريجا تبعا لتحسن أحوال الأهالى .

يسأل الكثيرون عن مساهمة الأهالى فى المراكز الاجتماعية كيف تكون ، وما قيمتها وما نوعها ؟ وإنى فضلا عما أسلفت من عدم إرهاق الأهالى وترك التبرع بمحض اختيارهم

بعد اقتناعهم بفائدة المشروع وضرورته — أقول إننا لا يعنينا نوع المساهمة وشكلها بقدر ما يهمنا اشراك أكبر عدد ممكن من الأهالى فى اقامة المركز الاجتماعى ببلدتهم وحسن سيره بعد ذلك . فليس التبرع للمشروع مقصورا على الأعيان وحدهم ولكنه مطلوب من الأهالى جميعا كل على قدر طاقته . وكما يكون التبرع بالأرض أو المال أو مواد البناء كالطوب والخشب وتقديم دواب الحمل، يكون أيضا بالعمل الشخصى فى اقامة المبانى أو فى غير ذلك من الأعمال التى يتطلبها المركز الاجتماعى .

والشخص الذى يساهم فى أعمال المركز الاجتماعى بأى شكل كان، والذى يتبرع له بالأرض أو البناء أو الطوب أو المال، ومجرد الجهد والعمل الشخصى انما يؤدى واجبا مقدسا نحو نفسه وأهله وقريته ووطنه .

ويدلكم عدم اشتراطنا على الأهالى نوعا معينا من المساهمة أننا نريد تركهم الى مشيئتهم كما يدلكم على أننا أقمنا فكرة المساهمة هذه على أساس عملى مستطاع .

على أننا لا نأتى بذلك بدعة ولا نطلب محالا . فقد جبل الفلاحون على الكرم ، وعرفوا بالمروءة، وهم فى هذه الحالة انما يساعدون أنفسهم ويسخون على أهليهم، لأنهم يعالجون مرضاهم ويحسنون مساكنهم ويرقون ببلادهم . فالمصلحة العامة هنا ممتزجة بالمصلحة الشخصية . والإيثار هنا أقرب ما يكون من الأثرة .

وقد جربت مساهمة الأهالى فى المشروعات العامة بقدر طاقتهم فى بلاد كثيرة . ففى رومانيا ويوغوسلافيا يقوم الأهالى أنفسهم باقامة المنشآت اللازمة لمشروعات الإصلاح القروى المشابهة . وفى بعض البلاد الأمريكية يتولى الأهالى أنفسهم تعبيد الطرق الزراعية فى بلادهم بتقسيم أيام العمل بينهم .

وما لنا نذهب بعيدا وها نحن أولاء نرى الفلاحين فى مصر يشتركون اشتراكا فعليا فى إقامة بيوت الله فى القرى ولا يأنف أحدهم مهما يكن مقامه أن يبنى بيده، أو يحمل الطوب ابتغاء مرضاة الله وثوابه ؟

ولست بحاجة لأن أقول إن البذل والعمل فى سبيل نفع الناس بإقامة مركز اجتماعى لهم فيه ثواب كبير يكسب صاحبه رضا الخلق والخالق .

ومما نذكره بالغبطة أن مشروع المراكز الاجتماعية لم يكد يذيع نبؤه حتى توالت علينا الطلبات من مختلف القرى بالوجهين البحرى والقبلى، يطلب فيها الأعيان والأهالى اقامة المراكز الاجتماعية فى بلادهم، ويبدون استعدادهم للتبرع لها بالأرض ومواد البناء واقامة المنشآت وتقديم كل ما يلزم من ضروب المساعدة حتى أن إحدى القرى مثلا عرضت التبرع بأربعة أفدنة

و٤٠٠٠٠٠ قطعة من الطوب الأحمر وألف جنيه . وقد بلغ عدد القرى التى تقدمت طالبة انشاء مراكز اجتماعية ومبدية استعدادها للمساعدة على اقامتها ٤٥ قرية لغاية اليوم .

كل ذلك يدل على عظم ايمان الأهالى بفوائد هذا المشروع وينبئ بشدة شعورهم بالحاجة الى الاصلاح فى مختلف النواحى . وقد بحثت ادارة الفلاح تلك الطلبات ولا تزال تفحص الجديد منها و يطوف موظفوها على القرى التى يتوافر لدى أدلها الاستعداد للمساهمة فى هـذا المشروع وتنطبق عليها الشروط اللازمة من حيث التعداد والظروف المحلية الأخرى .

وعنـد إقامة المركز الاجتماعى فى إحدى القرى سنحرص على ألا ندفع أثمـانا لمواد وأجورا لخدمات يكون مصدرها القرية ذاتها . فاذا احتجنا مثلا الى قطعة أرض للبناء كان جديرا بالأعيان أن يتبرعوا بها ، واذا احتجنا الى خدمة جمل أو دابة كان قمينا ببعضهم أن يقدمها أياما للعمل فى المشروع . واذا احتجنا الى عمل كان خليقا بالأهالى أن يتقدموا له من تلقاء أنفسهم — كل ذلك كما أقول وأكرر القول — مع تركهم لاختيارهم والبعد عن الاجبار وعدم الالتجاء الى أى شكل من أشكال السلطة والضغط .

ومتى تم إعداد المركز الاجتماعى يبدأ العلاج فيه بالمجان . و بعـد فترة من الزمن سيتناول المركز أجرا ضئيلا على العلاج كقرش واحد يدخل فيه ثمن الدواء . وسيكون للطبيب حصة من ايراد المركز من أجور العلاج هذه ، علاوة على المرتب و بدل العيادة والسكنى بالمجان . وقد راعينا من فرض ذلك الأجر الضئيل أن نحفظ كرامة الفلاح الصغير حتى لا يشعر أنه يستجدى العلاج والدواء . كما راعينا أن يكون الأجر الضئيل شـكلا من اشكال المساهمة الدائمة من جانب الأهالى فى نفقات المركز الاجتماعى .

أما المعوزون فيعالجون بالمجان وتصرف لهم الأدوية بلا مقابل .

* * *

لعلى بهذه البيانات قـد أجبت على أسـئلة كثيرة ممـا يوجه الينا عن مشروع المراكز الاجتماعية . ولعلى قد شرحت كنه هذه المراكز وغايتها وأعمالها . ولعلى قد بينت أخيرا أن هذا المشروع قد وضع على أسس عملية وتقديرات رخيصة ، وأنه روعيت فيه مصلحة الفلاح والفلاح الصغير بوجه خاص . انى لآمل أن نرى المراكز الاجتماعية بعد حين وجيزة قائمة فى عدة قرى ، وان تعمم فى نواحى الريف ، وأن تصير القرى وسكانها بعد عدد قليل من السنين متمتعة هانئة بأجل الخدمات الاجتماعية من جميع الوجوه .

أحمد حسين

عيوب الرجال

وآثارها فى حياة الأسرة

للسيدة زاهية مرزوق

أريد أن أكتب هذه المرة فى عيوب الرجل وآثارها المخربة فى بناء الأسرة . والموضوع كما يرى القارئ ، حساس دقيق . ولقد رجعت الى نفسى أسألها عن عيوب الرجل فتنصلت من الجواب ، زاعمة أن تجاربى الشخصية لم تزودها بمعلومات كافية فى هذا الباب ، ولكنى لم أشأ أن تفلت هذه الفرصة من يدى لأقول كلمة لعلها كلمة بنات جنسى كلها فى شرح قضيتهن والتعبير عما وقع عليهن من ظلم الرجال ، فلجأت الى مختلف الطبقات من السيدات ليساعدننى فى الإلمام بأطراف الموضوع ، وجمعت من معلوماتهن عن عيوب الرجل وأخطائه ما لم أكن لألم به من دونهن . ولقد لجأت كذلك الى الرجل أناشده الاعتراف بقليل من أخطائه وعيوبه فانتزعت من بعض الرجال كثيرا من الاعترافات ...

سألت أحد معارفى عن عيوب الرجل فقال فى دهشة واستغراب : " وأى عيوب فى الرجل " فقلت لنفسى وهذا أيضا عيب من عيوب الرجل . وسألت صديقا آخر فقال : لو انقرض جنس النساء من هذه الدنيا لأصبح الرجل كاملا لا عيب فيه " فتساءلت : كيف تكون حال الدنيا لو قالت المرأة أيضا " لو انقرض الرجال من العالم لأصبحت المرأة كاملة لا عيب فيها " !

ليس من الخير للرجل ولا للمرأة أن يعرف كل منهما أخطاءه ويصر على انكارها . بل الخير أن يعترف كلاهما بالواقع ويجتهد فى إصلاح هذه العيوب ، فهذا لكيان الأسرة ومجموع الأمة أنفع وأبقى .

كذلك ليس من الخير للرجل ولا للمرأة أن يحرص كل منهما على أن ينتصر على الآخر فى هذا الجدال بقوة ما يقدم من حجج وبراهين صحيحة أو غير صحيحة ، وقد تكون الأمثال التى يضربها متوافرة فى كثرة أو فى قلة من الأفراد ، ومهما يكن من الأمر فرائدنا الوحيد وهدفنا الأسمى هو اصلاح حال الاسرة المصرية ، ومن ورائه اصلاح حال الأمة جميعا ، فلينتصر الرجل أو لتنتصر المرأة فهذا لا يهمنا ما دمنا قد نتوصل بالبحث الى إنارة الطريق أمام الفريقين لتعديل حياتهما وتقويمها .

لو تتبعنا التطورات التاريخية لحياة الرجل والمرأة لوجدنا أن الرجل فى عصوره الأولى بجانب المرأة لم يكن شيئا مذكورا ، بل كانت هى المسيطرة على الحياة بما لها من الأثر الأكبر

فى حفظ النوع البشري مما كان يخفى على الرجل حقيقة أمره ، فلما أن عرف الرجل نصيبه الهام فى تكوين الأسرة أخذ يشعر بنفوذه فى الحياة ويستغل مقدار احتياج المرأة إليه فى تنفيذ مآربه وتوطيد سيطرته . وقد أعانته على ذلك قوته العضلية ونفسه المجبولة على القسوة والخشونة . ولا تزال المرأة فى بعض قبائل العالم محتفظة الى الآن بسيطرتها على الرجل ونفوذها فى تسيير أمور الحياة .

وبالرغم من اعتداد الرجل بنفسه واعتقاده أنه أعلى قدرا وأرقى عقلا من المرأة ما فتئت الأبحاث العلمية تنفى هذه التهمة التى ألصقها الرجل بالمرأة لا لشيء سوى رغبته فى إقصائها عن منافسته فى ميادين الحياة المختلفة ، فمجرد ظهور الرجل فى الحياة واستئثاره بنصيب منها ، لا يعنى أنه يرجح المرأة عقلا أو يفوقها فى كل ما يتطلبه النهوض بالحياة ، وإنما يعنى أن الرجل أتيحت له الفرصة قبلها ليضع من قواعد الحياة وينظم من قوانينها ما يوافق ميوله ورغباته ، ويشبع أنانيته وجشعه ، ولقد ظل محتفظا بهذا التراث المغصوب حتى توطدت سيطرته وأصبح العالم عالم الرجل . وإنى أعتقد أن مهما يكن فى المرأة من عيوب فما ذلك إلا نتيجة لأكبر عيب فى الرجل ، ألا وهو أنانيته واهتمامه بنفسه وإهماله شريكة حياته هذا الإهمال المعيب الذى قضى على الأسرة المصرية القضاء المبرم . الرجل أنانى لأنه حين وضع القوانين لم يفكر فى المرأة بل فكر فى نفسه فقط ، وهو أنانى لأنه حلل لنفسه ما حرمه على شريكته ، حتى المنكر فهو يباهى به فى حين أنه يقتل المرأة من أجله ! ! أنانى لأنه جعل المرأة شبه دمية يستمتع بها ويمتلك منها ما يشاء ، أنانى لأنه يتهرب من المسئولية العائلية فيترك زوجته المسكينة تكابد فى تربية الأطفال متاعب وآلاما . على حين يقطع هو وإخوانه الوقت فى لهو وسمر . أنانى لأنه يطغى على كل ما للأسرة من دخل ويبعثره بدون رقيب أو حسيب ، أنانى لأنه لا يعترف للمرأة بنصيبها المتواضع فى أخص أمورها ، وأخيرا هو أنانى لأنه يجب أن يضع نفسه قبل كل شيء وفوق كل شيء .

ويزعم الرجل أن كل مصائبه ومتاعبه آتية من جهة المرأة ، فإذا وقع فى محظور قال "فتش عن المرأة" وإذا سئل عن جرم قال "فتش عن المرأة" ويعلم الله أن المرأة من كل هذا براء ، فليست المرأة هى السبب فى زلاته ومنكراته كما يدعى . ولكن هكذا قال الرجل ، وهكذا شاء الرجل ، فلتكن مشيئة الرجل ، ولتتقدس إرادة الرجل ما دام هو الخصم والحكم ، وما دام هو الذى يسن القوانين ويضع التشريعات ، وما دام هو الذى يطبق هذه القوانين والتشريعات على المرأة وأنفها راغم .

كلنا لا يزال حديث العهد بتلك الحركة العنيفة التى قامت ضد المرأة وصلاحيتها للزوجية . وقد لاموا المرأة على نفور الشباب من الزواج ، ولعمرى ما أرى ذلك إلا اتهاما خاطئا ومحاولة لستر ما كمن فى الرجل من عيوب وطريقة لتشويش الحقائق على المفكرين والمصلحين .

طالبوا بفتح مدرسة للزوجات ونسوا أن الرجل أحوج إلى مثل هذه المدرسة إذ هو فى

أمور الزوجية تلميذ بليد ، نعم إن الرجل ، والمصرى بنوع خاص أشد الحاجة إلى مدرسة يتعلم فيها كيف يحترم زوجته، وكيف يعترف بحقوقها، وكيف يقدر روابط الأسرة وكيف يكون أبا صالحا يغرس فى أطفاله أصول الرجولة الصحيحة .

الرجل المصرى لم يظهر للآن رأيا حاسما واضحا فى المثل الأعلى للمرأة التى يريدها زوجة ، فهو لم يحدد نوعا خاصا من النساء ولم يفضل لونا خاصا من الطباع بل ترك المرأة حيرى لا تدرى كيف ترضى هـذا الزوج الطائش الضال المفتون ، فإذا انزوت فى دارها ورضيت بعيشها لم يعجبه منها خمولها وقال إنها لا تصلح لأن تكون زوجة ! و إذا تعلمت وتنورت لم تعجبه منها فلسفتها ، و إذا تبرجت لتستهويه لم تعجبه منها خلاعتها ، وهى لذلك لا تصلح أن تكون زوجة ، ولعمرى لا أدرى متى ينتهى الرجل من جدله مع نفسه ومتى يستقر على رأى ليخرج للمجتمع مثالا كاملا للزوجة الصالحة ؟ ولا أقصد بالصلاحيـة التامة ما يتخيله بعض الكتاب من إجادة صنع البطاطس فى الفرن ؛ و إنما أقصد تلك الصلاحية التى تخلق من المرأة المصرية زوجة تصلح لأن تتسامى إلى مقام الزوج المصرى ! فليعد كل والد ابنته وكل أخ أخته لتلك الحياة الزوجية التى تتمشى مع ميول رجل المستقبل ورغباته وذلك بإعداد البيئة التى تنشأ فيها إعدادا اجتماعيا صحيحا .

الرجل المصرى لا يفهم الزواج على حقيقته، ولا يعرف أغراضه السامية وروابطه المقدسة فالزواج عنده ليس شيئا سوى متعة أو أداة لهو يشتريها كلما تيسر له الشراء ، فإذا ما حازها جردها من كل شخصيتها وجعل منها خادما ذليلا لنفسه وذويه ، و إذا رغب فى النسل فعليها أن تطيع ، والزواج فى نظره ليس بشىء سوى مال كثير يشتريه بمال قليل، فهو يبحث عن التى يستمد من غناها قوة ، ومن مالها جاها ، أو عن التى تكون له سلما يرتقى به الدرجات، تلك هى الفاتحـة التى تفتتح بها المرأة حياتها الزوجية بل تلك هى المقدمة البليغة التى تستهل بها مأساة الزواج .

ثم تتوالى فصول المأساة وتتعدد صورها فلا يتكلم الرجل إلا ليقول إنه صرح البيت وعماد الأسرة ، وأنه هو الذى يشقى فى الحيـاة ويكد فى كسب الرزق أما المرأة فمهمتها دون مهمته وليس لديها من الأعمال ما يقاس بعمله . ولا يستنتج من كل هذه الدعاوى إلا نتيجة واحدة وهى أن قيمتها فى الحيـاة تافهة ، أو أنهـا على كل حال دون قيمته بكثير . وهأنذا أسائل نفسى : بالله ماذا يعمل الرجل الذى يذهب إلى عمله فيجلس على المقعد المريح و يتجاذب مع إخوانه وزواره أطراف الحـديث ثم يقضى ما تبقى من الوقت فى قراءة الجرائد وتناول القهوة ! هذا الرجل يذهب إلى منزله بعد هذا الجهد العظيم فيأكل وينام ثم يخرج بعد ذلك للقهى ليستريح من عناء الأعمال ! ! قارنوا هذا بما تقوم به المرأة من العمل المضنى فى ترتيب منزلها وتربية أطفالها وتدبير ميزانيتها لتجعل من القليل الذى يتركه لها زوجها كثيرا يكفى للقيام بأود الأسرة . ولو علم الرجل أن المرأة تقوم بنصيبها كاملا فى نضال الحياة الدائم ؟

وتبذل من جسمها فى الحمل والولادة داخل المنزل أضعاف ما يبذل الزوج خارجه ، لسمح لها بنصيبها من الراحة والتسلية ، وساعدها على التمتع بقليل من ملاذ الحياة .

وهؤلاء الرجال الذين أصيبوا بداء المقاهى والمنتديات ، ماذا تفيد الأسرة والأمة منهم ؟ ماذا يفيد الأسرة ذلك الرجل الذى يقضى نصف عمره متسكعا بين القهاوى وهائما فى الطرقات ؟ ! ذلك الرجل الذى قضى أياما معدودات دون أن يرى أولاده ، إذ يخرجون فى الصباح وهو نائم ويدخل فى الليل وهم نيام ! ذلك هو الرجل الذى لا يضن بشىء من ماله على الأصدقاء والخلان غير متورع عن صرف قوت أولاده على مجالس السمر والشراب ! وإذا ما لمنا الرجل على فراره من منزله وعلى التنصل من المسئولية العائلية الخطيرة التى كان يجب عليه أن يكون عمادها كما يدعى العادة فى كل شىء ، اعتذر بأنه لا يجد فى المنزل من وسائل التسلية ما يشغل وقته الثمين ! ونسى أن اللوم فى كل ذلك واقع عليه أولا وأخيرا . فهو الذى لم يعد نفسه ولم يعد المرأة التى أسلمه القدر قيادها للحياة الاجتماعية الصالحة التى تملأ جو المنزل بهجة وانشراحا . وهو الذى وضع النظام الخاطئ لتربية الفتاة ونشأتها ، وهو الذى تحكم فى تعليمها وتكييف حياتها كما يريد دون نظر لشعورها وإرادتها .

إن حياة الرجل المصرى مبنية على الفوضى وعدم النظام ، فهو فوضوى فى عمله ، فوضوى فى مواعيده ، فوضوى فى علاقته بمنزله وزوجته وأولاده ، وما أندر الرجل الذى يزن عمله ويعطيه حقه ، ويزن لهوه ويعطيه حقه ، ويزن مسئولياته العائلية والاجتماعية ويعطيها حقها . إن روح الاتزان فى ذلك كله مفقودة وقد حل محلها الطيش والاضطراب .

الرجل المصرى لا يعرف كيف يتمتع بالنشاط الاجتماعى ، ولا كيف يجعل من لهوه سبيلا إلى زيادة إنتاجه ، وهو فقير جدا فى الحديث النافع والسمر المفيد ، لا يدرى كيف يجعل من المجتمع مجلسا ممتعا مفيدا يحبب إلى المجتمعين الاستمرار فيه . أما ثقافته فمحدودة . وهو غير ميال للاطلاع ، وليس لديه هواية من الهوايات ، وهو لا يدرى من الآداب الاجتماعية شيئا ، فإذا وجد فى مجتمع راق فقلما يدرك أو يرعى أصول "الاتيكيت" وآداب المجالس .

أما الروح الرياضية فليس لها أثر عنده ، فكل ما يقوم به الناشئ من الألعاب الرياضية فى عرفه "لعب عيال" ، ولا يصح لمن كان فى سنه وفى مقامه ان يمارسها . وهو لا يعلم أن فقدانه تلك الروح الرياضية يحول دون تكوين شخصيته ، ويمحو من نفسه روح الاقدام وحب الطموح والتطلع إلى المغامرة ، وكلها أشياء لا غنى عنها لمن أراد النجاح فى الحياة .

إن هذا الضعف الخلقى فى الرجل المصرى مظهر "خطير" لانحلال الأسرة المصرية وتدهور الحياة الاجتماعية . وواجب على كل مصلح أن يعمل ما فى وسعه لتدارك هذه الحال قبل فوات الأوان ، فليتعاون الرجل مع المرأة وليتكاتفا جميعا فى العمل على إنقاذ الأسرة المصرية وانتشال المجتمع المصرى من الهوة العميقة التى تردى فيها طول هذه الأجيال .

زاهيه مرزوق

الجريدة وكيف تقرأ

بعد الانتهاء من المدرسة أو الجامعة يواجه الشباب مجتمعا قد يبعث فيه الجد أو يبعث فيه التوانى . فهو إما شارع ناشط إلى مواصلة الرقى الثقافى ، وإما منته منه راكد عنه . والثقافة خارج المدرسة أو الجامعة تتعدد وتتفاوت فى قيمتها . فأقلها قيمة ولكن أكثرها عددا فى الوقت الحاضر هو الدار السينمائية التى تتجه بقوة نحو اللهو بل اللهو السخيف ، فى حين كان يجب أن يكون الفلم من أقوى أسباب التعليم والتثقيف .

وتليها محطة الاذاعة . وهذه بما لها من احتكار وبما تجد من معاونة حكومية كان يجب أن تكون وسيلة للتنوير الممتع . ثم تلى ذلك الجريدة اليومية وسائر الصحف الدورية . وأخيرا وهو أكبرها قيمة وأقلها عددا الكتاب .

وتمتاز الجريدة اليومية بان لها قوة غرس المادة . فهى من هذه الناحية تشبه الشاى أو القهوة بحيث يحس معتادها قلقا وضجرا إذا تأخرت عن ميعادها . وهى تمس الشئون العامة التى يجرى عنها الحديث مع الأصدقاء والمعارف . والرجل الذى لا يقرأ الجريدة تنقطع الصلة بينه وبين الحوادث العامة . وأقل النتائج لهذا الانقطاع غباوة وجهل يبدوان عليه فى الحديث وأخطرها الجهل بالتطور العالمى وركود الذهن وانكماش الشخصية . وفى "مجتمع" البيت تجد الجريدة أعظم فرصها للتنوير إذا قصدت إلى الخدمة العامة . فإن أعضاء هذا المجتمع الصغير يجدون فيها الموضوعات المختلفة لسمرهم بل لحوارهم ومناقشتهم . وهم يستنيرون بأخبارها وتعليقاتها وصورها . والبيت الآن هو الهدف الذى تقصد اليه الجريدة فى العالم المتمدن حين تكتب ، وهو الذى تتحرى رضاه وتحاول إشباع أعضائه كل فيما يهوى . فان لربة البيت صفحة أو بعض الصفحة التى تحتوى ألوانا من المعارف عن صحتها وجمالها وعن تدبير البيت والمطبخ وتربية الأطفال ومعاملة الزوج . وللأطفال كذلك صفحتهم التى يجدون فيها علما مشوبا بلهو . وكذلك الشأن فى معالجة السياسة والتجارة والتعليم والزراعة . بل أحيانا الفلسفة والاجتماع . فان الجريدة تحاول أن تكون مدرسة عامة ، وماهى شاملا يجد فيه كل انسان المعارف المغرية وأخبار الساعة . ولكنها تخاطب البيت قبل أى هيئة أخرى . ومما يدل على هذا الاتجاه بعض المكافآت التى تقدمها للقراء ، فانها كلها تقريبا مما تحتاج اليه ربة البيت أو مما تهتم له ربة البيت فى اقتصادياتها المنزلية .

والصحافة والمجتمع يتبادلان التفاعل . فاذا كان المثل القائل " كما تكونون تكون صحافتكم "صحيحا فانه يمكن أن يقال أيضا " كما تكون صحافتكم يكون مجتمعكم " لأن الصحيفة هى قبل كل شيء من الأعمال التى يجب أن تنظر إلى الربح . وقد تكون لها رسالة . ولكن هذه الرسالة ، إن لم يكن خلفها ما يؤيدها من حزب قوى أو جماعة مضحية ، لا تستطيع فى الأغلب أن تجعل الجريدة أو المجلة تعيش بدون الاعتماد على الأساليب التجارية فى الوصول إلى أكبر عدد ممكن من القراء والحصول على أكبر عدد ممكن من الاعلانات . فاذا كان القراء فى مستوى منخفض فان الصحيفة لن تروج بينهم إلا اذا هبطت إلى هذا المستوى. وإذا كان للمرأة شأن عظيم بين قراء الجريدة فانها أى الصحيفة تهتم بشئونها كما نرى فى جميع الصحف الأوربية والامريكية تقريبا . فاذا رأيت أن الرواج يصادف بعض المجلات التى تعنى بالقيل والقال فلا تلم هذه المجلة وحدها ، لأنها إنما تجرى فيما تكتب مايطلبه جمهورها. فإن أفراد هذا الجمهور يتسامرون و يتحدثون بالقيل والقال ، وهم لهذا السبب يشترون المجلة التى تسايرهم فى هذه النزعة و يقاطعون المجلة التى لا تزودهم بها . وقد رأت الحكومات حتى الديمقراطية — أن تصد التيارات السيئة فى الصحافة . فسنت القوانين فى بريطانيا مثلا لمنع الجرائد من نشر التفاصيل الخاصة بقضايا الطلاق كما وضعت العقوبات الرادعة للقذف. و بذلك تهذبت اللغة وخلت من الألفاظ النابية . ولهذا أثره لا فى سعادة المجتمع الذى أمن أفراده الفضائح ، بل أيضا فى أخلاق الجمهور الذى يتعلم ألفاظ الحديث من لغة الجرائد .

ويجب أن تكون الجرائد حرة فى التعبير عن آرائها حتى يثق بها الجمهور وحتى يجد فيها الرأى الناضج مكانه الذى لا يمليه غير الذهن الحر . ولكن النظام الاقتصادى الذى يجعل الصحافة تجارة حرة خاضعة للمزاحمة يحيلها فى كل وقت تقريبا إلى الخضوع التام بل الأعمى للإعلانات التجارية والمؤسسات التجارية الكبرى . فلا تنتظر مثلا من الجريدة التى تعتمد فى نفقاتها على ما يرد اليها من اعلانات تتصل بالأدوية المستحضرة أو بشركات التأمين أو الملاحة أو غير ذلك أن تتحدث عن خداع الجمهور بالأدوية المستحضرة أو عن ضياع أمواله فى بعض شركات التأمين الزائفة أو غيرها . فيجب على القارئ أن يذكر على الدوام هذه الحال وهو يقدر الحرية المزعومة عند الصحف عامة . ولسنا نقول هذا لكى نوجه اللوم إلى الصحف ، إذ هى لا يسعها أن تكون غير ذلك ، وإنما لكى ننبه القارئ إلى بعض النقائص للصحافة حتى يستطيع أن يقرأ أحيانا ما بين السطور وأن يتعرف إلى الخبر الغائب الذى حذف من الصحيفة كما يتعرف إلى الخبر الوارد فيها .

وقد كانت الصحافة منذ نشأتها قسمين : أحدهما صحافة الرأى والآخر صحافة الخبر . ولا يزال هذا الانفصال واضحا فى فرنسا حيث لا تزال جريدة الرأى ، التى يتولاها فى العادة

رجل نابه الذكر تصدر فى أربع أو ست صفحات لا أكثر . كما نرى مثلا فى جريدة بو بيلير أو الأكسيون فرانسيز . أما فى بريطانيا العظمى فلا تكاد توجد جريدة يومية للرأى فقط . فان الجرائد هناك الأسبوعية والشهرية تقوم بترويد القراء بالآراء الناضجة فى التعليق على الحوادث والأخبار . ويكتب فى هذه المجلات أكبر الساسة وأعظم العلماء والأدباء .

ولسنا نحتاج الى أن نذكر أننا نعيش فى عصر الدعاية وأن لبعض الدول وزارات خاصة بالدعاية فيجب أن نحرص على أن نقرأ فى تدبر وأن نعرف أن الرأى والخبر معا عرضة للدعاية سواء من الحكومات أو من الأحزاب . ولذلك يحسن بكل قارئ ألا يقتصر على قراءة جريدة معينة بل عليه — اذا استطاع — أن يقرأ جريدة أخرى معارضة بل جريدة فى لغة أجنبية وأن يوازن بين الواحدة والأخرى .

ويحسن بقارئ الجريدة لكى ينتفع بالقراءة أن يتعلم القراءة السريعة حتى لاتستغرق الجريدة معظم وقته . وذلك بأن يمرن نفسه على ألا ينطق بالكلمات ، وهو يقرأ لأن تحريك الشفتين أثناء القراءة معطل . والقراءة السريعة هى القراءة التى تجرى فى صمت تام ، لا يتحرك فيها اللسان .

والمألوف أننا نقرأ فى الجريدة أبوابا تعودناها ولا نكاد ننظر الى غيرها . ولكن من وقت لآخر يجب أن ننظر فى هذا الذى أهملناه وأن نتعلمه . فاننا بذلك نستطيع مثلا أن نقدر التيارات أو التطورات السياسية بقراءة الصفحة المالية لعلاقة المال بالسياسة . وهذا هو الشأن فى الصفحات الأخرى المهملة .

ويجب ألا ننسى أن الجريدة لم تجعل للتوجيه وانما جعلت للتنبيه . فلنأخذ منها معارفنا وأخبارنا ولكن يجب أن نفهمها على الوجه السديد الذى يمليه علينا الرأى الناضج والمناقشة النيرة مع زملائنا .

وفى هذه الأيام القلقة والعالم ملتهب بالحرب بل بالحروب . يجب أن يقتنى كل منا أطلسا جغرافيا يرجع اليه من وقت لآخر . كما أنه يجب اقتناء تقويم الحكومة المصرية لكى نستخدمه فى مثل هذا الغرض بشأن أحوالنا الداخلية .

ولعل من المستحسن أن تقرأ الجريدة فى البيت . لا فى القهوة أو النادى . حتى يشترك أفراد الأسرة فى درسها وأن يجعلوا من موضوعاتها وأخبارها سمرا مفيدا .

واذا لم يكن من الميسور جمع أعداد الجريدة فلا أقل من أن يقص كل منا الخبر أو المقال الذى يمتاز بمغزاه ويلصقه بدفتر يعدّ لذلك أو أن يجمعه فى حافظة خاصة ويرتب هذه القصاصات أبوابا . فإن هذا العمل يجعله يقرأ بعناية ويفتح أمام ذهنه آفاقا جديدة من الاهتمام المنير .

النجاح والتفوق

ذكاء أم اتجاه ؟

بقلم الأستاذ سلامه موسى

كثيرا ما نرى الرؤساء أو الأغنياء أو من يتبوأون المقاعد العليا و يضطلعون بالتبعات الجسام لا يتمتعون بذكاء نادر فضلا عن نبوغ أو عبقرية . وعندئذ نتساءل عن تفوقهم وتبريزهم كيف اتفقا لهم ؟

واذا أمعنا النظر وجدنا أن لهم ميزات ولكنها ليست ميزات الذكاء . بل لعل أحدهم يكون دون بعض مرءوسيه فى الذكاء . ولكنه يمتاز عليه فى أشياء أخرى هى التى تعمل للتفوق والتبريز . وهذه الأشياء تتعلق بالأخلاق والعادات والاتجاهات . فان معظم أعمالنا أو نحو ٩٩ فى المائة منها لا تحتاج الى ذكاء نادر ، لأننا لسنا جميعنا مخترعين أو مكتشفين ، ولسنا فلاسفة نبحث سنن الطبيعة أو نحاول تنقيح المجتمع . فقد يحتاج مثل هذه الأعمال الى عبقريات ضخمة أو ذكاء يفوق المتوسط . ولكن أعمال الناس يكفى فيها الذكاء المتوسط . ويرجع تفوقهم فيها الى أنواع من السلوك تساعد على النجاح . كما أنه يحدث كثيرا أن يخيب الذكى لأنه يتخذ أسلوبا من العيش يؤخره . فقد يتعود الذكى عادات سيئة مثل القمار تجعل كل مكاسبه تذهب هباء . أو قد يتعود الشراب فيتلف صحته ويشيخ قبل الأوان . أو قد يتعود الإهمال سواء فى هندامه أو فى عمله أو حتى فى لغته فيحدث أثرا سيئا فى جميع من يحتكون به فيثقل عليهم ظله ويكرهون لقاءه . بل هناك من يكون ذكيا فى عمله ولكنه سيء العلاقات مع زوجته فيعيش ساخطا غاضبا فى نكد لا ينقطع . ويتأثر عمله بسخطه وغضبه .

وكثيرا ما يكون التفوق عادة أو اتجاها . والعبرة هنا بالسنوات الأولى فى الطفل . فانه اذا تعود التفوق صار هذا فيه عادة حتى لا يطيق التخلف . وهذا هو التفسير لتلك الظاهرة التى نراها فى المدارس . وهو أن الأول فى الفصل يحتفظ بترتيبه سنة بعد أخرى . وهو يحتفظ بها ، لا لأنه أذكى التلاميذ ، بل لأنه قد اتجه هذا الاتجاه واعتاد عادته الأولية ، وهو يتألم عند ما يتخلف . وهذا هو السبب فى أنه فى " اختبار الذكاء " لا يعتمد القائمون به على امتحانات

المدارس . لأن لهـذه الامتحانات عوامل و بواعث أخرى غير الذكاء . ولو كان التفوق المدرسى ينبنى على قوة الذكاء لما كان هناك معنى أو مغزى فى اختبارات الذكاء، اذ كان يجب أن يكتفى بنتائج المدرسة .

أو نستطيع أن نقول إن ذلك التلميذ الذى يحتفظ بالأولية فى فصول المدرسة يتخذ أسلوبا من الاستقامة والمثابرة والدقة والمواظبة لا يتخذه سائر التلاميذ . فهو حتى حين يكون دونهم فى الذكاء يتفوق عليهم بهـذا الأسلوب . ثم يصير هذا الأسلوب عادته واتجاهه مدى حياته فى المدرسة أو الكلية .

وكذلك الشأن فى الحياة . فان لكل منا اتجاها ومستوى للطموح وعادات تؤدى الى النجاح أو الخيبة . وهى جميعا تنتهى بنا الى النهـاية المنطقية . بحيث لو استطعنا أن نعرف جميع هذه الأحوال على وجه الدقة والتفصيل فى شاب قـد بلغ العشرين لكان فى مقدورنا أن نتكهن بمـا سوف يكونه عند ما يبلغ الخمسين أو الستين .

وهناك أشياء كثيرة نستصغر شأنها مع أن مغزاها كبير جدا فى تحقيق النجاح ، فقـد يتعود أحدنا الصمت فيبدو عليـه وقار يلقى فى روع من يحتكون به أنه رجل رزين بصير فيحتكم اليـه المختلفون و يعتمد عليه فى الاستشارة ونحو ذلك . ومثل هذه الثقة العامة تخدمه فى الأزمات وترفعه الى مراكز سامية كبيرة التبعات . وقد يعتاد أحدنا الاسراف فى المزاح فتزول الثقة فيه مع أنه جدير بها . ثم هناك عادات اجتماعية أخرى فى المعيشة البيتية ومعاملة الناس وكراهة الديون أو قلة الاكتراث لها والتبذير والتقتير وحلاوة اللسان أو فظاظة المنطق فإن كل هذه الصفات ترفع أو تحط .

وكما أن التفوق أو النجاح يعود الى عادات واتجاهات تتأصل فى الأغلب منذ سنى الطفولة ، كذلك الخيبة والفشل والتخلف إنما ترجع فى الأغلب الى عادات واتجاهات تثبت منـذ أيام الطفولة وتنمو أكثر مما ترجع الى قلة الذكاء . ولسنا بالطبع نسير هنا الى تلك الحالات البارزة النادرة حين نجد شخصا مغفلا أو أبله قد سال لعابه . لأننا إنمـا نعنى هنا المتوسط العام من الناس .

فإن تدليل الطفل مثلا يغرس فيه أسلوبا من العيش ينمو معه الى أن يبلغ الشباب، بل قد يتجاوزه الى سن الكهولة فالشيخوخة. وكلنا يعرف ذلك " الطفل الكبير" فى الشاب الذى يحب الحلوى ولا تهدأ أسنانه عن المضغ . أو ذلك الشاب الذى لا يطيق سلطة الرئيس لأنه تعود أن يخضع أمه لإرادته لا أن يخضع لها ، وذلك المترف الذى لا يطيق الكد والكدح، ثم هناك الصبى التى تعود عادات سيئة من زملاء الشارع أو المدرسة فان هذه العادات لن

تتركه وهو كبير . وإذا تعودنا الإهمال وعشنا فى بيت مشوش ليست فيه مواعيد منظمة فاننا قلما ننجح بعد ذلك فى اتخاذ أسلوب المتمدنين فى المحافظة على المواعيد أو المواظبة أو العناية بالترتيب .

بل الإجرام نفسه هو أسلوب فى العيش واتجاه وعادة ، وليس المجرم قليل الذكاء ولكنه قد تعود عادات سيئة كالكسل مثلا ، فانه يكره الجهد المتواصل الذى يطلبه العمل . وهو فى الأغلب قد ارتكب فى صباه سرقات صغيرة لا يؤبه بها لتفاهتها ولكنها أكسبته أسلوبا من العيش قد لصق به فهو يعتمد عليه فى شبابه . وقد أصبح هذا الأسلوب عادة واتجاها ، فهو يفكر فيه ويبنى طموحه عليه ويقيس به القيم الاخلاقية ، وعنده أن الشجاع هو ذلك المحتال الكبير أو اللص الجرىء الذى لا يقوى رجال الشرطة على إلقاء القبض عليه . وهو يجالس زملاءه فى الجريمة ويستمع لقصص المجرمين ويتخذ الأقيسة الاخلاقية التى يقيسون بها الذكاء والحيلة والجراءة والإقدام والتبصر والحذر ، فيتألف له من كل ذلك عالم آخر يعيش فيه بخياله وعقله وقلبه . فهو يطلب النجاح والتفوق ولكن مقاييسه تختلف عنا وترجع الى أسلوب من العيش تعلمه فى الصبا ونما معه حتى صار جذورا تطارده فيه السلطات .

وخلاصة القول أن مهمة الذكاء فى التوفيق أو الخيبة وفى الاستقامة أو الانحراف ليست كبيرة . لأن العبرة بالاتجاه والعادة وأسلوب العيش ، أو بكلمة واحدة فى الأخلاق .

سلامه موسى

من حكم شوقى

يستريح النائم من قيود الحياة . كما يتروح السجين ساعة فى فناء السجن .

دود الحرير أخرق ، هلك تاركا للناس خير ما لبسوا ، فما تركوا له منه كفنا ، والنحل حكيم ، طعم من كل الثمرات ثم أطعم .

العقول الكبار درر كبار ، لا تخلو واحدة من خدش يظهره الخلق أو يخفيه .

هجرة سكان المدن

الى الريف

كان من أثر هذه الحرب القائمة أن هجر كثير من سكان المدن — وخاصة الإسكندرية والقاهرة — الى الريف . وشجعت الحكومة هذه الهجرة بأن تبرعت بنقل الفقراء بالمجان الى المحطة التى يريدون النزول فيها ، ويقال إن المهاجرين الى الريف من جميع الطبقات لايقلون عن ربع مليون، وهذا عدد ضخم يجب أن يتأثر به الريف المصرى فى الوقت الحاضر وأن يجد فيه منفرجا لبعض ضيقه ، كما أن هؤلاء " المدنيين " سوف يتعرفون الى الريف ويدرسون أحواله ويدركون مقدار الفاقة التى يعانيها الريفيون فيكون من أثر هـذا التعرف زيادة فى التعاطف بين المدينة والقرية ، وباعث على الإصلاح فى المستقبل .

ومع أن مساوئ الحرب لا يمكن أن يعادلها شيء فان ظروف هذه الحرب القائمة قد جعلت الأغنياء — لأول مرة — يفكرون فى قضاء الصيف فى مصر سواء فى الريف أو فى المصايف الصغيرة التى لاتلفت نظر الطائرات، فما كان ينفق كل عام فى المدن والمصايف الأوروبية سينفق هذا الصيف فى مصر ، وبعضه بل معظمه سينفق فى الريف ويكون من ذلك انتعاش عام . فان المرأة الريفية التى كانت تبيع الفراخ والبيض والزبدة للتاجر بالأثمان الرخيصة بل بالأثمان البخسة ستبيع هذه الأشياء للمهاجرين مباشرة بأثمان حسنة وتجد من ذلك وسيلة إلى الترفيه عن نفسها أو لادها بشراء بعض الحاجات . والريف المصرى عند هؤلاء المهاجرين محاسن ومساوئ . فأما المحاسن فيرجع معظمها إلى قلة النفقات وإلى الأطعمة الطبيعية الوفيرة وإلى نشاط الأطفال فى الشمس والهواء اللذين يبعثان فيهم العافية . وقلة النفقات ستكون عند بعض من هؤلاء المهاجرين مفاجأة عجيبة . ذلك أن الريف لا يقتضى سوى القليل من الملابس التى لا يبلغ ثمنها فى العام مقدار نصف الثمن لبذلة أو فستان مما يحتاج إليه سكان القاهرة أو الاسكندرية . وليس فى الريف سيل من الأجور والنفقات فى الترام والسيارة والقهوة والدار السينمائية وغير ذلك مما يضيع قروشا صغيرة تتراكم آخر الشهر وتصير جنيهات ثقيلة . وذلك البيت الذى تعود أن ينفق عشرين جنيها فى الشهر سيجد نفسه قانعا راضيا بثلاثة أو أربعة جنيهات . زد على ذلك هذه الأطعمة الطبيعية الكثيرة التى تخرج من الحقل طازجة فتعد وتطهى وهى ناضجة غنية بالفيتامينات . وحرمان هـذه

العائلات المتمدنة مما ألفته من أطعمة مجهزة كالحلويات والفطائر هو كسب وليس خسارة . والأولاد فى انطلاقهم فى الحقول سيكسبون من الشمس والهواء ما سوف يلفح وجوههم بصبغة الصحة والعافية . وإن يوما واحدا فى الريف عند صبى أو بنت ينطلقان عاديين أو ممتطين حمارا لجدير بأن يبعث الدم يوزد وجناتهما . وهؤلاء الأطفال يتعرفون إلى أطفال الريف وينبعثون إلى التفكير فى فقرهم ويكون من ذلك أثر جميل عند ما يبلغون سن الرجولة ويذكرون هذه المزاملة القديمة فينبعثون إلى التفكير فى الإصلاح . وليس التعرف إلى الحقول والزراعة وحصاد القمح وجنى القطن وسائر النباتات التى يحفل بها ريفنا مما تستصغر قيمته فان الفتاة التى تعودت أن ترى على المائدة ألوانا مختلفة من الرز والبطاطس والطماطم والباميا والقرع تغتبط وتستنير عند ما ترى هذه البقول فى الأرض ولكن العائلة التى تهاجر إلى الريف لن تجد كل شىء على ما تحب وتهوى . لا بل هى فى حاجة إلى اليقظة والعناية حتى لا يمرض الأطفال . فان البلهارسيا والانكلستوما تختبئ لأبدانهما فى طين القنوات وسرعان ما تنفذ هذه الديدان إلى الأقدام الناعمة الصغيرة التى تعودت الحذاء فى المدينة . فلا بد من العناية بمنع الأطفال من السير حفاة فى الريف . كذلك الذباب الذى يتكاثر يجب أيضا أن يتقى . وهناك عدوى الرمد والقراع وكلاهما يحتاج الى اتخاذ الاحتياطات .

والريف يشقى بسوء الأمن العام للفاقة الملحة على السكان . ولكن هجرة المدنيين من ناحية ستخفف هذه الفاقة كما أن مبادرة الحكومة الى القبض على المريبين سيجعل الأمن مكفولا طول مدة هذه الهجرة . ومن الحسن بل من الدين والبر أن ينشط المهاجرون المدنيون الى مساعدة الفقراء من الريفيين والتخفيف عنهم فى هذه الأيام حتى تكون هجرتهم فرصة لممارسة البر . وهم مهما أنفقوا فلن تبلغ نفقاتهم فى المبرات كسرا صغيرا مما كانوا ينفقون على الملاهى فى المدينة .

وأسوأ ما سيجد هؤلاء المهاجرون هو هندسة المنزل الريفى وبناؤه . فان الشائع فى مواد البناء هو الطوب الأخضر والمنزل ينفتح عادة على فناء مكشوف تضربه الشمس والنوافذ طويلة الارتفاع قصيرة العرض . وأسوأ ما فى هذا البيت هو المرحاض الذى يخلو من وسائل النظافة المألوفة . وبعد ذلك وفرة البعوض والذباب اللذين ذكرناهما .

على أن كل هذه المساوئ أو النقائص اذا لم يكن من الميسور تحاميها فلا أقل من معالجتها والتخفيف من آثارها . ومعظم هذه المساوئ إن لم نقل جميعها يرجع إلى أن الأغنياء قد استقروا فى المدن وتركوا ريفهم ترك الاهمال التام وأصبحت منازلهم فيه مخازن للغلال لا يلتفت الى تحسينها أو تنظيمها أى التفات ولو كانوا قد اعتادوا زيارة هذا الريف فى بعض الفصول لوالوا منازلهم بالعناية والتحسين .

على أن الحال ليست مع ذلك مما يدعو إلى اليأس، فان قليلا من العناية وأقل من النفقات يجعل المسكن الريفى لائقا للسكنى. وأول ذلك أن يجهز المهاجرون أنفسهم بصيدلية صغيرة تحتوى على الاسعافات التى يعين عددها ومقدارها طبيب أو صيدلى . فمن ذلك مثلا مضخة السوائل التى تتبخر لمكافحة الذباب أو البعوض . وقليل من المعقمات والمطهرات للجروح وأمراض العيون مع مسهل خفيف للأطفال ومسهلات أخرى للبالغين . واذا وضعت على النوافذ شبكة لمنع الذباب فان القاعد فى الغرفة يهنأ بالاضطجاع فيها دون هذا العنت الذى يحدثه طنين الذباب .

ثم بعد ذلك يجب أن يصلح المرحاض بأن تفرش أرضه بالأسمنت وتكسى جدرانه بالجير ويصنع له غطاء . ومهما تكن التكاليف لهذا الترميم ، وهى ليست كبيرة ، فان المهاجرين يجدون أنها دون الفائدة التى يجنونها من نظافة المرحاض . وهى فائدة عملية وصحية معا .

أما الأثاث الذى يحمل الى الريف فيجب أن يكون خفيفا متينا بل يمكن العائلة المهاجرة أن تستأجر بعض النجارين لصنع الرفوف والخزانات والمقاعد والأسرة الساذجة ، ويجب أن يكون المنزل بعيدا عن السكك الزراعية التى تثير غبارها الأوتومبيلات .

وهناك من المهاجرين من يحملون معهم جهاز الراديوفون ويديرونه ببطارية قليلة التكاليف فيسمعون كل يوم أخبار العالم ويطربون بما فيه من موسيقى وأغان . ويحسن كل مهاجر الى الريف إذا هو اشترى مصباحا بطاريا وتلسكوبا حقليا لكى يزيد مدى بصره فى النهار وينير ظلمة الليل .

ولتكن هذه الحرب فرصة نستخرج من نقمتها نعمة، ونتعرف عن سبيلها الى إخواننا المصريين الريفيين .

كيف نربى المرأة التى تربينا

التربية كالصحة ليس وراءها غاية . فنحن لانحث أبناءنا على التزام الاعتدال فى الطعام أو ممارسة الرياضة أو الاستحمام لكى يكونوا أقوى أجساما من غيرهم أو لكى ينجحوا فى أعمالهم بل لكى يحصلوا على الصحة فقط . لأن الصحة تطلب لذاتها .

وكذلك الشأن فى التربية فإن كل إنسان يجب أن يكون حاصلا على أفضل قسط ممكن منها . والتربية هنا غاية فى ذاتها . فنحن نطلب الصحة لكى نتجنب المرض وكذلك يجب أن نطلب التعليم — وهو بعض التربية — لكى نتجنب الجهل . لأن الجهل والمرض من المساوئ التى يجب تحاميها . وصحيح أن للصحة قيمتها فى النجاح . وكذلك قيمة التربية لا تنكر فى تدريب الذهن على الملاحظة وزيادة المعارف . ولكن الصحة والتربية كلتاهما تطلب لذاتها لأنها بعض الحياة الطيبة .

ولكن لما كان لكل مجتمع أسلوب فى الحياة يختلف عن الأسلوب السائد فى المجتمعات الأخرى فإننا بعد أن نعمم الغاية الكبرى من التربية ونقول إنها متعة أو حق أو بعض الحياة الطيبة نعود فنضطر إلى التخصيص ونقول إن التربية يجب أن تواثم بين الفرد وبين الوسط (المجتمع) الذى يعيش فيه . ومن هذه الملاءمة ضرورة احترافه عملا يكسب منه حتى لا يتحمل هذا المجتمع عبء عيشه . هذا إذا كان رجلا . فاذا كان امرأة فاننا يجب أيضا أن ننظر إلى مقامها فى هذا المجتمع وتهيئها له بأن تكون زوجة وأما . ولكن يجب أن نحذر القول بأن غاية التربية للرجل أن يحترف عملا أو غايتها للمرأة أن تصير زوجة وأما . لأن التربية — كما قلنا — مثل الصحة يجب أن تطلب لذاتها قبل كل شىء .

فكيف إذن نربى المرأة ؟

ما دمنا قد قلنا إن مقامها فى المجتمع هو البيت لكى تكون زوجة وأما فاننا يجب أن ننظر إلى هذا المقام وأثره. فقد ثبت أن الأطفال يحصلون على النزعات الأخلاقية والتوجيهات الاجتماعية والعقائد الدينية والشعائر القومية من البيت قبل أن يكملوا من أعمارهم ست سنوات وهم فى هذه المدة لا يعرفون أحدا مقدار معرفتهم لأمهم . وهم يتعلمون منها أسلوب الحياة الذى سيتخذون فى المستقبل . ومن المألوف بين العامة قولهم وقت التشاتم " أنت تربية

امرأة" ولكن الحقيقة التى لا يمكن أن تناقض أننا كلنا هذا الرجل . لأن الأب لا يربى ابنه فى السنوات الأولى من عمره، والأم هى المسئولة عن ذلك . فاذا كان بالأبناء ميزات أو عيوب فى الأخلاق فإلى الأم يرجع الفضل أو النقص . ونحن نعرف الطفل المدلل ولكنا نجهل أن الرجل قد يكون أحيانا مدللا يكره الصعوبات و يتحامى الإقدام ويخشى المستقبل ، وأن حاله هذه إنما ترجع إلى طفولة سيئة قضاها مع أم جاهلة قد دللته وطبعت فى نفسه هذا الأسلوب . لأن البيت هو المجتمع الصغير الذى يبنى عليه الطفل آراءه وعقائده عن المجتمع الكبير . فما تعلمه فى هذا المجتمع الأول قد انغرس فى نفسه عادة ثابتة لن تتبدل فى المستقبل إلا بعد مجهود عظيم قل من ينجح فى بذله . ولذلك يجب أن يكون نصب أعيننا على الدوام أن البيت ليس هو "المدرسة الأولى" بل هو المجتمع الأول وهو أكبر من المدرسة، وعلى قرار هذا البيت سيكون المجتمع الأكبر أى مجتمع الأمة . فاذا وجدت به عقما وكراهة للتطور والتقدم فارجع النظر إلى مجتمع البيت وابحث فيه عن الأسباب والعلل

ومن هنا قيمة التربية والتعليم للمرأة . فإنها رئيسة هذا البيت الفعلية ، وهى التى تخرج لنا منه العبقريين أو المجرمين. فالمرأة التى تعيش فى بيت نظيف مرتب الأثاث خال من الضوضاء يسوده الجد فى غير صرامة ، والفكاهة فى غير تبذل ، والتى تأكل أمام أولادها كما يأكل المتمدنون وتعامل الخدم بالرفق والعطف يتعلم ابنها منها هذا الأسلوب فى المعيشة ، و ينشأ عليه و يعامل به مجتمع الأمة، ولا يجد فى التزامه صعوبة لأنه لم يعرف غيره . وهو ينجح فى هذا المجتمع لأنه يحبه و يتعاون معه كما كان يحب أمه و يتعاون معها .

فأول ما يجب فى تربية المرأة أن نعلمها كيف تكون أما تربى الجيل الجديد الذى تبنى الأمة منه . وهذه التربية شاقة لأنها ليست تعليما مؤلفا من مواد يمكن درسها وعقد الاختبارات عنها . لأن الوسيلة لتربية هذا الجيل هى القدوة . فاذا شئنا أن نعلم الصبى كيف يكون مستقلا مبتكرا فوسيلة ذلك أن يرى هذه الصورة فى أمه . ولكن أمه يجب أن تكون قد تعلمت هذه الأخلاق فى البيت . ومن هنا يرى القارئ صعوبة التربية النسوية فى مصر . لأننا فى الوقت الذى نعرف فيه أن البيت هو الأساس لتربية الأخلاق نضطر إلى الرجوع إلى المدرسة لكى نحصل على هذه التربية . وكل ما نستطيعه عندئذ أن ننصح بأن تكون هذه المدرسة بيتا أو كالبيت تعلم فيه الأخلاق بالممارسة . وهذا بالطبع إلى جنب التعليم الخاص بكل ما يتصل بالأمومة .

ولكن المرأة ليست أما فقط إذ هى زوجة . وهى فى مصر تعانى هموما وتكبد زوجها هموما أخرى . وهى ظالمة ومظلومة معا . إذ هى لا تعرف لماذا ينفر منها زوجها أحيانا ، و ينشد الراحة أو السلوى النفسية مع غيرها من أصدقاء على القهوة أو النادى . وهى لذلك

تغضب منه وقد تثور لهذا الهجران . وهى هنا ظالمة . ولكنها مظلومة أيضا من حيث إنها لم تحصل على قسط من الثقافة والتدريب الاجتماعى كذلك القسط الذى حصل عليه زوجها فهى ليست زميلته ، وهو لا يأنس إلى حديثها ، وأحيانا تنفجر الهوة حتى تقتصر العلاقة بينهما على الضرورات الفسيولوجية وعندئذ يعود البيت كأنه فندق أو مطعم .

فيجب — بعد الأمومة — أن تعلم المرأة لكى تكون زوجة ، وأعظم ما يهيئها لذلك أن تستوى فى درجة الثقافة مع زوجها أو تقاربه . ولذلك يجب ألا يختلف تعليم الفتاة من تعليم الشاب . وإذا كان هناك اختلاف فإنه يجب أن ينحصر فى توجيه الشاب إلى احسان عمل يحترفه فى المستقبل لكى يكسب منه ، وفى توجيه الفتاة لكى تكون أما ، عليها تدريب أبنائها — بالقدوة — على الحياة الطيبة .

ويقول الأمريكيون هنا باستقراءاتهم عن السعادة الزوجية بين ألوف العائلات إن المرأة التى احترفت عملا قبل الزواج أليق للزواج من التى لم تحترف . وقد يكون هذا معقولا فى المجتمع الأمريكى ولكنه بالطبع بعيد عن أحوالنا الاجتماعية الحاضرة .

لقد قلنا فى أول هذا المقال إن التربية يجب أن تطلب لذاتها كما تطلب الصحة . لأننا نتقى بالتربية الجهل كما نتقى بالصحة المرض . ولذلك يجب أن نؤكد هنا القول بأن تربية المرأة يجب ألا تكون غايتها الأولى الأمومة والزوجية بل يجب أن نربى المرأة ، لأنها إنسان قبل كل شىء ، أى إنسان له شخصيته ويجب أن يكون ذهنه مستنيرا متطلعا راقيا ينمو ويطرد رقيه ونموه .

من وصايا الإمام علىّ لأحد عماله

لا يكونن المحسن والمسىء عندك بمنزلة سواء ، فإن فى ذلك تزهيدا لأهل الاحسان فى الإحسان ، وتدريبا لأهل الاساءة على الاساءة . وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه . واعلم أنه ليس شىء أدعى إلى حسن ظن الراعى برعيته من إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عليهم . فليكن منك فى ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك ، فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا ، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده . وان أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ، ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية .

المعلم الإلزامى فى ميدان الحياة الاجتماعية

للأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم
المفتش بوزارة المعارف

من الناس من تواتيه الفرص فلا يفترصها ، وتمد له الحياة بخاجها فلا يكاد يأبه لها . وتتجلى أمام ناظريه الظواهر المختلفة السياسية والاجتماعية والطبيعية فلا يلتفت إليها . يؤثر العزلة والانفراد ، وينقبض عن المخالطة والاشتراك : همه نفسه ، وشغله ذاته ، ولا شيء سوى ذلك . ومن كان هـذا شأنه ، كان — ولا ريب — مريضا بداء الأثرة ، وحب الذات ، والمنفعة الشخصية الخاصة . ويستحوذ هذا الداء على مشاعره وعواطفه ، ويتمكن منه فى أعز ما لديه ، وأنفس ما أنعم الله به عليه ؛ فيضيق صـدره مثل ما ضاق أفقه ، وتبتئس نفسه مثل ما ابتأست أيامه ؛ ويرى المجتمع عدوا ومغرما ، فيخاف أن يندمج فيه ، أو أن تزل قدمه فى مهاويه . ويكون جزاؤه الحرمان من الفضائل الاجتماعية والدينية التى لا تتحقق إلا فى معترك الحياة .

ثم كيف تكون الحياة الاجتماعية لو تقطعت بين الناس أواصر التراحم ، وقبض كل يده عن عشيرته وبنى ملته ؟ إنها تكون أشبه شيء بميادين الوغى ، وساحات المعارك والقتال . يسود فيها التهافت والتكالب على جمع المـال طيبه وخبيثه ، وتضيع فيها الحقوق والواجبات وتقفر من نعم المعاضدة والمواصلة ، والمؤانسة والمجاملة : فلا تناصر ، ولا تعاون ، ولا إخاء ، ولا وفاء ، ولا مروءة ولا نجدة . وهذه هى الفتنة القاتلة التى لا تثمر سوى العدوان والخذلان ، والندامة والخسران .

فأول خطوة فى سبيل سعادة المعلم الالزامى خروجه من سجن ذاته ، واهتمامه بالحيـاة العامة الاجتماعية ، وتعاونه مع القرية على المهام المتنوعة ، وجهاده المستمر لإصلاح البيئة السيئة ، ومعالجة النقائص معالجة الطبيب الحاذق ؛ لكى يكون خليقا بمنصبه ، وجديرا بأن يتولى — بحق — قيادة التعليم والتربية فى بيئته .

وعليه واجبات ، لو قضى عمره فيها ، لوقف دون إتمامها جميعا ، لأنه عضو فى المجتمع ولأنه مكلف بإصلاح نفسه ، وتربية أبناء مدرسته ، وإنهاض أهل قريته ، وإفادة من تصل بهم من بنى وطنه .

ودون الوصول الى هـذه الغايات أشواط بعيدة ، لايقطعها إلا المصلحون النافعون توصلا الى الحياة الكاملة السعيدة . فالمعلم الذى يقتصر على إعداد المـادة العلمية لتلاميذه ، ويقف عند حدود الحصص المقررة عليه فى جدوله ، يعدّ مقصرا فى حق تلاميذه أنفسهم وفى حق بيئته وأمته ، ولا يسمى مربيا .

ومعلم القرية يجب أن يكون مربيا يأخذ الأطفال بجميل العادات ، وحميد الخصال ، ويحيي فى نفوسهم النزعة الدينية ، ويقوى فيهم العقائد الصحيحة الروحية . وفوق ذلك يكون قدوة صالحة يحارب الرذائل ، ويعين على مكارم الأخلاق ، وينشر الفضائل فى قومه ، متذرعا بالوسائل التى تهيئه لأن يكون إماما مرشدا ، وأمينا ناصحا ، وحكيما مخلصا لأهله وعشيرته وبنى بلدته .

وإن أول واجب على معلم القرية أن يدرس نفسية الجماعات ليعرف أن لها تفكيرا ، وشعورا ، ووجدانا ، وإرادة . وأن لها حماسة ، وتعصبا ، ومزاجا ، وأن التأثير فيها إنما يكون بالاستمالة والاستهواء ، والترغيب والتشويق ، واللين والحلم ، وسماحة الخلق ، حتى تلتف حوله ، وتسمع قوله وتصغى إلى إرشاده ونصائحه .

ومن جهل من المعلمين عقلية الجماهير فأساء إلى شعورهم : بتجهيلهم ، أو بتعنيفهم ، أو بالتعالى عليهم ، أو بسبهم ، أو بإيذائهم ، فإنه يكون منبوذا منهم على السواء ، إذ تهيج أعصابهم فيركبون متن الشطط فى معاداته ، ومعاندته ، والتنكر له .

لذا كان من أوجب الواجبات على المعلم أن يتخذ أمثل الطرق لإصلاح النقص فى أهل القرية ، وأن يقوّم مافيهم من اعوجاج ، بملاطفتهم ، والتنزل إلى مافوق مستواهم بقليل ، وإرشادهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومعاملتهم باللين والرفق ، والإخلاص والصدق . وأن يكون ذا شخصية قوية صالحة ليوحى إليهم بتقليده فى أقواله ، وأفعاله ، وسائر أحواله . فإن خير الإرشاد ماجاء عن طريق الإيحاء والاستهواء ، وصدر عن مثال يشير بالمحاكاة والتقليد ، لا مايجىء بطريق الأمر والنهى .

أما المعلم المتعالى عليهم ، المبالغ فى الإعجاب بزيه وحسن هيئته ، الفخور بمنصبه وعلمه ، فإنه يثير فى نفوسهم ماكن فيها من الحسد له ، والحقد عليه ، فتشتد ثورتهم ضده ، ويتألبون عليه ، وينصرفون هم وأبناؤهم عنه ، وبئس المصير .

أريد من هذا أن يكون مثل المعلم فى إصلاح قريته مثل البستانى الماهر الذى يغرس فى بستانه أنواع الأشجار الباسقة ، والرياحين الغضة ، والأزهار العطرة ، ثم يجعل بابه مفتوحا للمتنزهين والنظارة من الجمهور . فإنهم يحبون أن يستمتعوا برؤية مافيه من جمال ساحر فيندفعون إليه بشوق ورغبة وينتفعون ويغتبطون .

وكذلك المعلم يكون بعلمه وخلقه وأدبه أسوة حسنة لهم فيأتمون به ، ويسيرون على طريقته ، وينسجون على منواله ، من غير أن يأمرهم باتباعه ، أو يسوقهم إلى الاقتداء به ، لأن مافيه من قوة مغناطيسية قد جذبتهم وشاقتهم واستمالتهم إليه . وهنا يكون النجاح فى تأدية رسالته .

فمعلم القرية — على هذا الاعتبار — يمكن أن يؤدى أجل الخدمات القومية ، متى أحس إحساسا عميقا بالمسئولية الكبيرة الملقاة على عاتقه إزاء الواجبات الانسانية التى يجب أن يقوم بها طوعا واختيارا وحبا لها فى ذاتها ، لاطمعا فى مثوبة ، ولا خوفا من عقوبة ولكن لأنها فضيلة وجمال .

وأهم مايبدأ به عمله : القيام بالإمامة والوعظ والإرشاد ليمد أهل قريته بما آتاه الله من علم وفضل ، وله فى الكتب الدينية ، وقصص الأنبياء ، وسيرة سيد المرسلين ، وأنباء الصحابة والتابعين مورد لاينضب ماؤه ولا ينفد معينه ، فيقفهم على كثير من أصول دينهم ، ويذكرهم بآياته وعقائده وتعاليمه .

ومهمة المصلح شاقة وعظيمة ، لأنها تتطلب جهادا وتضحية ، وتستلزم شدة الإيمان بفكرة الإصلاح التى ينشرها ويؤيدها بالقول والعمل . وأول مايواجهه — بادئ الأمر — تطهير البلاد مما أصابها من لوثات خلقية ، أو آفات اجتماعية ، أو أمراض أخرى مختلفة فيعمل جهد طاقته على إزالة الأسباب والمؤثرات والعوامل التى أنتجت هذه النكبات ، فالمعلم المصلح يعمل لمحو الأمية وإخراج قومه من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، وتبصرتهم بالمبادئ الأولية الصحية ليتقوا ويلات الأمراض ، والوقوع فى براثن الجهالة والأدواء ، والوقاية خير من العلاج ، كما يقول الشاعر :

توق الداء خير من تصد لأيسره ولو أمن الطبيب

مع إسداء النصيحة لمرضاهم بالتردد على المشافى ، والمسارعة إلى الأطباء قبل أن يتمكن منهم الداء ويصير مستعصيا علاجه .

يمكنه أن يعمل على نشر النظام ، واستتباب الأمن ، فيعين رجال الشرطة وأولى الأمر على تأدية مهامهم . بأن يساعد على رد الأمانات لأهلها ، وإيصال الحقوق لمستحقيها ، والوساطة فى الصلح بين المتخاصمين ، وسل السخائم من الصدور ، وإزالة الأحقاد من النفوس ، وإحياء معالم الشهادة الحقة ، وقول الصدق ، واحترام القوانين . وأن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر عملا بقوله جل شأنه " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " .

وإن المعلم ليضع نفسه فى مأزق حرج إن تحيز لفئة فى القرية معادية لفئة أخرى فيها ، لأنه بذلك يزيد ثائرة غضبهم و يثير الإحن والبغضاء فى قلوبهم فيجعلهم أعداء متخاصمين متعصبين تعصب الجاهلية الأولى مما تضطرب به حالهم ، ثم هو لا ينجو من أذاهم . والعاقل من لا يزج نفسه فى مضيق لا يقدر على الخروج منه .

ولكى يكون أسوة حسنة لهم يجب أن يجعل مقامه فى القرية التى بها مدرسته لياتموا به فى كل شىء ، وليكون بيته نموذجا طيبا للنظام والنظافة والترتيب ، فيقتدى به الأهلون ، ويحاكونه ، ويحاولون أن يرفعوا بيوتهم إلى مستوى قريب من مستوى بيته فى استيفاء الشرائط الصحية الضرورية .

محمد أبو بكر ابراهيم

كتب أمير المؤمنين على بن أبى طالب إلى عامله على مصر :

" أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك إن لم تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان الله حربا عليه حتى ينزع أو يتوب . وليس شىء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته ، من إقامة على ظلم ، فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد .

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها فى الحق وأعمها فى العدل وأجمعها لراحة الرعية . فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة ، و إن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة . وليس أحد من الرعية أثقل على الوالى مؤونة فى الرخاء وأقل معونة له فى البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاف من أهل الخاصة . و إنما عماد الدين و جماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة ، فليكن صفوك لهم وميلك إليهم " .

لكى تكون إنسانا مهذبا

بقلم صريح

لا تحشر نفسك فى وسط لست منه ، فان أهل هذا الوسط يتأففون من وجودك بينهم و إن كانوا لا يبدون لك هذا التأفف ، وعلية القوم وأصحاب الشخصيات الكبيرة قد هجروا القهاوى إلى الأندية فرارا من أمثالك الذين يتهزون فرصة وجود شخص يعرفونه فى مجلس ، فيقبلون عليه و يسلمون و يجلسون و يشتركون فى الحديث كما لو كانوا أصدقاء أو زملاء للحاضرين .

هذا تطفل ممقوت ، وزج بالنفس فى غير مكانها ، و إرهاق للناس الذين يجتمعون — وهم من وسط واحد — ليتمازحوا وليتسامروا وليتحدثوا فى غير تكلف ولا تحرج . فإذا رميت بنفسك فى وسطهم أكرهتهم على التحفظ فى السمر والمزاح أو حملتهم على تغيير الحديث الذى كانوا يتحدثون فيه لكى لا تطلع على سرهم أو لكى لا تنقل عنهم ما لا يحبون أن ينقل، وهكذا يظلون فى ضيق وحرج حتى ينكشف عنهم ظلك الثقيل .

ولا يكفى أن تدفع ثمن مشروبك أو ما كولك لتقول إنك لا تكلف الناس شيئا وتظن انك بذلك تصبح خفيفا عليهم ، فليست المسألة مسألة قروش ، ولكنك تكر عليهم استئناسهم ببعضهم وتضيق من حريتهم فى الكلام حتى يهم الواحد منهم بأن يسألك : " حضرتك عايز حاجة ؟ " ولكن الحياء يمنعه .

كن لطيفا ، و إذا كان لديك ما تقوله لشخص تعرفه فى جمعية أصدقاء فاطلبه وجالسه بمعزل عن الاخرين ولا تطل عليه الحديث وانصرف ، و إلا فانت الثقيل يجلس ممقوتا ويشيع ملعونا .

* * *

لا تتحدث فى المجلس عن غرامياتك ، فليس أدل على سوء الخلق وضعة النفس وانحطاط التربية من أن تفضح امرأة عرفتها وائتمنتك على شرفها ، وان هذه الجريمة لترداد بشاعة وشناعة إذا كان لهذه المرأة زوج أو أخ أو ولد .

وبعد ، فما للناس ولحوادثك الغرامية وتواريخ غزواتك وأما كن فتوحاتك وأسماء رفيقاتك ؟ إنهم لا يعنيهم من ذلك شيء ، وإنما يستمعون اليك وهم يتثاءبون ولا يريد أحدهم أن يجرحك بأن يقول لك : " وأنا مالى " .

وحديثك هذا ثقيل على نفوسهم ، لأنك تحاول أن تقنعهم فيه بأنك الرجل الجميل الظريف الذى تتهاوى عليه النساء ولا تقاوم حسنه الفتيات ، ولأنك تريدهم على أن يصدقوك فى " فتوحاتك " وكلهم يعتقد أنك مختلق أو مبالغ ، فاذا كنت صادقا فإنك عديم المروءة قليل الأدب ، وإذا كنت كاذبا فأنت تضيف إلى ذلك سماجة القحة والزهو الذى لا يطاق.

واعلم أن الانجليز فى مجتمعاتهم لا يترددون فى أن يقذفوا بك على سلم النادى أو أفريز القهوة إذا سمعوا منك مثل هذا الكلام .

* * *

كن نظيفا ، وكن حسن الهندام ، وكن أنيقا إذا شئت ، ولكن لا تكن مختثا فى قيافتك فذلك عيب يفقدك مظهر الرجولة ، ولا أفهم لماذا تغضب إذا قال لك أحد الناس إنك امرأة ، مع أنك تحاول أن تتشبه بالنساء .

ولا تحسب أنك تستهوى قلوب الفتيات بالحاكتة اللاصقة على بدنك وبالشعر الملمع ، وبالأظافر الوردية البراقة ، وبالعطر الفائح منك ، وبالكرفتة التى يضاهى لونها لون الجورب والمنديل وبالجواهر التى تزين رباط رقبتك وأصابعك ، فذلك كله إمعان فى التخنث لا يتبارى فيه غير النساء ، والمرأة تحب فى الرجل رجولته قبل كل شيء ، وهى تحتقرك إذا أحست أنك تنافسها فى الزينة والتبرج وهما أخص خصائصها وأظهر صفاتها .

فإن كنت وسيما أو جميلا فاكتف بجمالك ووسامتك وأبرزهما بالظهور فى مظهر الرجل الكامل ، أما إن كنت دميما فليست الزينة هى التى تجملك ، وإلا فما رأيك فى الجارية السوداء التى تصبغ وجهها بالبودرة وشفتيها بالأحمر ؟ إن الناس يسخرون منك كما تسخر أنت من هذه الجارية ويضحكون منكما على حد سواء .

* * *

حافظ على كرامتك بين الناس ولكن لا تكثر من الكلام فى الكرامة ، فانه لا يكثر من الكلام فيها إلا الصعاليك. واحرص على أن تكون محترما من مجالسيك ولكن لا تبالغ فى ذلك ولا تجعل منه سببا للمشاجرات . ولا تحاول أن تجد فى كل اشارة أو كلمة معنى مهينا أو غرضا جارحا ، بل افترض فيها حسن نية المتكلم واحملها على خير الوجوه وتسامح أو فعاتب

بلطف ورفق ، و إلا فانك تكون صعب المعاشرة غير مأمون المجالسة ، يتجنبك الناس كما يتجنبون المواد المفرقعة أو القابلة للالتهاب . ولعل سكوتا أو إطراقا أو اغضاء أو ابتسامة افعل فى ردع المجترئ عليك من مشاجرة أو ملاكمة .

واملك نفسك وأعصابك كثيرا حتى لا تعكر صفو المجلس الذى يضمك ، فإخوانك وأصدقاؤك قد جاءوا ليتحدثوا وليتسامروا لا ليشهدوا مصارعات ولا ليحضروا مضاربات ولا ليفضوا منازعات . وليس مفروضا على الجالسين فى النادى أو القهوة أن يقدروا ظروفك ويزنوا أعذارك ويحققوا فى ما قلت وفى ما قيل لك ، وانما هم سيحكمون عليك وعلى صاحبك الذى تخاصمه حكما مرتجلا سريعا وهو أنكما مجنونان أو متهوران لا يستحب المكان الذى تكونان فيه .

* * *

لا تكن "نطعا" وتضع فى محفظتك ورقة بعشرة جنيهات أو أكثر تخرجها فى كل مناسبة لتشعر الناس أنك غنى. فالناس — وهم لا يستفيدون من مالك ولا ينتفعون بغناك — يستوى لديهم إن كنت ذا مال أو رقيق الحال .

وأنت تخرج هذه الورقة لكسارى الترام لا ليأخذ منها ثمن التذكرة ، لأن الكسارى ليس صرافا ولا صاحب بنك ، و إنما تخرجها لتراها السيدة الجالسة أمامك ، وتظن أنك بذلك تستهويها اليك مع أنها تضحك منك فى سرها ، لأنها تعلم أن الغنى الذى تعود حمل هذه الأوراق لا يزهى بها ولا يختال .

وأنت تخرجها لخادم القهوة بين جمع من أصحابك لا ليأخذ منها ثمن الفنجان الذى شربته ، بل ليراها هو وليراها أصحابك المجتمعون ، ظنا منك أن ذلك يزيد فى احترامهم لك و إكبارهم أمرك ، مع أنهم يعلمون من حقيقتك ما تعلم ومالا تظن أنهم يعلمون .

وبعد فالله يعلم أن هذه الورقة واحدة لا أخت لها تعرضها طول اليوم على معارفك ليصرفوها لك ، فاذا صرفها أحدهم عدت بقمدتها ثم عدت الى عرضها وهكذا دواليك .

* * *

لا تثقل على الناس بذكر أثمان ملابسك الغالية. فأنت تلبس لنفسك لا للناس ، ولرفاهيتك لا لرفاهية الناس. والناس لا يهمهم ان كنت اشتريت قميصك من عند "بوفان" فى باريس بثلاثة جنيهات أو من عند الأسطى محمد غنيم فى حارة السقايين بعشرة قروش . واعلم أن فى ميدان الفشر متسعا للجميع ، وأن الذين يزعمون أنهم يلبسون أربطة الرقبة من عند "دافيد" والأحذية من عند "جريكو" بباريس كثيرون .

والمسألة لا تخرج عن إحدى حالتين : إما أن تكون رب أسرة تسرف على نفسك وتقتر على أولادك ، وهذه رذيلة لا تمدح عليها . وإما أن تكون غير مسئول عن غيرك ولا مكلف بسواك فأنت تصرف ماهيتك أو إيرادك على شخصك فقط . وليس فى هـــذا ما يعجب له النـاس .

ومهما يكن من الأمر فاذا ابتلاك الله بأحد أولئك الفشارين فلا تكذبه بعدم تصديقك ما يقول ، فإن ذلك يستتبع أيمـانا يحلفها ليؤكد صدقه فتحتدم المناقشة بينكما بلا مبرر . ولكن لا تشجعه بتظاهرك بتصديقه ، لأن ذلك يحمـله على المضى فى سخافاته وادعاءاته . وخير ما تفعل هو ألا تهتم بحديثه وأن تحاول الخوض فى حديث غيره حتى يخجل من نفسه فيرحمك من فشره .

* * *

أنت تلبس بذلتك الجديدة وتتزين وتتعطر وتلمع حذاءك وتقف أمام باب السينما أو أحد المحلات التجارية كالتمثال لولا أن عينيك تتحركان فى أعلى وجهك يمنة ويسرة وسلسلتك الذهبية تلتف حول سبابتك طردا وعكسا . فماذا تبتغى من ذلك ؟

التفرج برؤية الداخلات والخارجات . أليس كذلك ؟ . ولكن هؤلاء الداخلات والخارجات يمررن أو يمر مثلهن وأحسن منهن فى الشوارع وتستطيع أن تتفرج برؤيتهن وأن تمتع نظرك بمشاهدتهن وأنت جالس على أفريز القهوة وهن رائحات غاديات . ولا أقـول إنك بذلك تفعل فعلا محمودا أو معقولا ولكنك على الأقل تحفظ كرامتك ولا تجعل الناس يضحكون من وقفتك .

أما إذا كان غرضك من وقفتك هـــذه اصطياد واحدة منهن فوسيلتك أرذل الوسائل وأعقمها وأسمجها فى وقت واحد. لأنك لن تجد سيدة أو فتاة مهما كانت متسامحة متساهلة ترضى أن تلتفت الى حركاتك أو أن تستمع الى اقتراحاتك فى مثل هذا الموقف وفى وسط هذا الزحام . واذا كنت تظن أن إحدى الساقطات منهن قد تقبل عليك وترى فيك غنيمة خير لك أن تعدل عن هذا الظن ، فالمعلوم والمشهور والمجمع عليه أنه لا يقف هذه الوقفة إلا الشبان المفلسون والرقعاء المتسكعون . والساقطات طالبات رزق والرزق لا يوجد عند هؤلاء . إذن فأنت لن تكسب مما تفعل سوى أن يقال إنك سخيف ، فهل ترضى أن يقال إنك سخيف ؟

صريح

مسكن الفلاح

للأستاذ محمود فهمى

المسكن من الضرورات الأولى لحياة الانسان ، وهو المظهر الصادق الدلالة على ثروة السكان وصحتهم ، والمقياس الصحيح لمستوى الشعب ومبلغه من الحضارة .

ولا بد لمن يريد أن يتناول موضوع مسكن الفلاح فى مصر ، من أن يعيش فى وسط الفلاحين، أو يكون له بهم اتصال مباشر مستمر ، حتى يلم بسبل معيشتهم ، ويتفهم عقليتهم وما طبعوا عليه من عادات وما يجرون عليه من تقاليد ويتعرف ما يحيط بأحوال المسكن فى الريف من ظروف وملابسات .

* * *

فى مصر ما يقيف على أربعة آلاف قرية ، وعشرين ألف عزبة يسكنها نحو أربعة عشر مليونا من المصريين هم السواد الأعظم من الشعب ، ومعنى هذا أن سكان المدن هم البقية التى لا تزيد على ثلاثة ملايين ، ويبلغ متوسط عدد سكان كل بيت خمسة أشخاص ، وعلى ذلك يكون عدد المساكن فى الريف المصرى نحو ثلاث ملايين ، فاذا تكلمنا عن مسكن الفلاح فإنما نتكلم عن هذا العدد العظيم من البيوت .

وسكان هذه البيوت هم كبار الزراع ، وصغارهم ، والعمال الزراعيون الذين هم أجراء أو مستأجرون من ملاك يملكون أرضا لا عزبا ، أما بيوت العزب فيملكها الزراع الكبار وهم إنما يبنونها لسكناهم المؤقتة واسكنى عمالهم من أجراء أو مستأجرين .

ومساكن كبار الزراع فى مجموعها ملائمة لا ينقصها الا قليل من الاصلاح والتنسيق ، فقد أعانهم ثراؤهم على حسن إنشائها ، وأعانتهم سهولة المواصلات وتوفر أدوات التنقل لديهم ، من عربات وسيارات ، على الاتصال بالمدن الكبيرة ونقل مواد البناء الحديثة ، والأخذ بأنظمة المبانى العصرية .

أما مساكن صغار الملاك فالفرق ضئيل بينها و بين مساكن العمال الزراعيين، وهذه وتلك على العموم صغيرة المساحة، ضيقة الغرف، قليلة الارتفاع، وتراها مبنية بغير نظام، وعلى مستوى الأرض الزراعية الرطبة المجاورة لها ، وسقوفها ضعيفة لأنها من عيدان الذرة أو من الغاب

أو جريد النخل المرصوص ، وحوائطها عارية من كل طلاء ، وقلما تدخلها أو تتخللها أشعة الشمس لقلة النوافذ فى بعضها وانعدامها فى البعض الآخر . والمواشى تشارك الآدميين فى سكنى هـذه البيوت رغم ضيقها وتلاصقها وضيق الممرات بين كل صفين متقابلين منها حتى يكاد الصفان يلتقيان فى طرفيهما .

وليست فى أكثر هـذه البيوت مراحيض ، بل يقضى الناس حاجتهم فى الخلاء أو فى مراحيض المساجد . وهذا أفتك بصحة الأهلين ، لأن تراكم الأقذار يخلق من الحميات والأمراض القاتلة الشىء الكثير ، وتوضع الأفران فى هذه البيوت وضعا غير سليم ولا مأمون ، وعلى الأسطح ترى أكواما من الأحطاب والمواد الأخرى القابلة للالتهاب وأخصها مايصنع من أرواث المواشى . وفى الطرقات وأمام المنازل ترى أكداسا من السماد ، وعددا من البرك والمستنقعات الراكدة المملوءة بجراثيم الأمراض .

أما فى العزب الجـديدة فمساكن العمال الزراعيين أحسن حالا وأكثر استيفاء للشروط الصحية ، والفضل فى هذا لقانون بناء العزب الذى صدر فى سنة ١٩٣٣ والذى حتم شروطا وأوصافا معينة فى بناء العزب ، على أن هـذه المساكن لا تزال مع ذلك محتاجة الى شىء من الإصلاح .

ولو أن ذلك القانون ، شمل الاصلاحات المستحدثة ، وأوجب التفتيش على مبانى العزب بين فترة وأخرى لضمان استمرارها منظمة ونظيفة ، وحتم تجديد العزب كلما مرت عليها مدة معينة ، لكان ذلك أوفى وأكفل بالغاية .

* * *

ليس عجبا وهذه حال المساكن فى الريف أن نرى ما عليه فلاحونا من قذارة ومايستهدفون له من أمراض مضنية ، وفى اعتقادى أنه لولا أشعة الشمس المساطة على أجسامهم طول النهار ، ولولا أن حياتهم الخلوية فى الحقل وغيره تمتعهم بالهواء الطلق يتخلل أجسامهم وتمتلىء به صدورهم ، لكانت نسبة الوفيات فيهم هائلة مروعة .

وتختلف أشكال المساكن فى الريف المصرى تبعا لاختلاف الظروف المالية ، واختلاف العادات والذوق والجو والموقع وحالة الأمن ، فمثلا كان لرى الحياض بالوجه القبلى أثر فى إنشاء قرى كبيرة متباعدة مرتفعة ، وكان لرطوبة الجو وكثرة المطر وارتفاع منسوب الماء فى شمال الدلتا أثر فى بناء أكثر القرى والعزب هناك بالطوب الأحمر .

ولا ننسى أن نذكر التطور الطبيعى فى حالة المساكن فى مصر . وإن كان تطورا بطيئا عاجزا من مسايرة مثيله فى الأمم التى تسير الى الرقى والحضارة بخطى سريعة متواصلة . وإن كانت خطى العمران فى المدن أسرع منها فى الريف .

هذه صورة واضحة لمساكن الريف المصرى . أتينا بها لنتعرف مقدار النقص فيها ؛ وما لهذا النقص من أثر يرتبط بعوائد وأخلاق وصحة ومال أربعة عشر مليونا من أهلينا ومواطنينا .

وقبل أن نتعرض للكلام على طرق إصلاح المساكن ، واستكمال وجوه النقص فيها ، يجب أن نعرض بايجاز للحالة المالية . حتى نقيم وسائل الاصلاح على أساس يمكن تنفيذه ، والوصول به الى النتيجة المرجوة .

فمن بين الأربعة عشر مليونا الذين يسكنون الريف المصرى نحو سبعة ملايين من النساء ، لايعمل أغلبهن شيئا بحكم التقاليد والعادات . ونحو ثلاثة ملايين بين كهول وأطفال لا حول لهم ولا قوة . وكلهم يعيشون على مجهود الملايين الأربعة الباقية . أى أن كل فرد من هؤلاء العاملين يعول فى المتوسط ثلاثة أو أربعة أشخاص .

أما كبار الملاك ، وحالتهم على العموم مرضية فهم قليلو العدد ، لا يتجاوزون ٧ ٪ من مجموع عدد الملاك الزراعيين ، وأما صغارهم فهم الأغلبية الساحقة إذ يبلغون ٩٣ ٪ من مجموع عدد الملاك ، فحالتهم سيئة . إذ لا يملكون الا ٢٠ ٪ من مجموع الأراضى الزراعية بمعدل عشرة قراريط لكل منهم .

وأما العمال الزراعيون ، وعددهم ليس بالقليل ، إذ يبلغون نحو ثلاثة ملايين ، فهم فى بؤس ، فالأجير منهم يعمل عند المالك بما لا يزيد على ثلاثة قروش يوميا . ولا تزيد أيام العمل السنوية على مائة وثمانين يوما ، أى نصف السنة . وعلى ذلك فأجره اليومى الحقيقى هو قرش ونصف القرش . وعلى هذا الأساس يخص كل فرد فى أسرته من هذا الأجر الزهيد ، ثلاثة أو أربعة مليمات يوميا طوال أيام السنة . أما المستأجرون فليس حظهم بأحسن حالا من هؤلاء الأجراء .

بعد ذلك بقى علينا أن نتعرف مقدار ما يتكلفه كل مسكن ، فقد اختلف تقدير الباحثين فى نفقات مسكن الفلاح ، فمنهم من قال مائة جنيه وأكثر ، ومنهم من تواضع إلى أربعين جنيها . وكان تقدير الجمعية الزراعية المصرية للمنزل النموذجى الذى أقامته بالطوب الأخضر ، بعزبة بهتيم الصغيرة هو خمسة وعشرون جنيها . وفى إعتقادى أن هذا التقدير يخرج عنه ثمن الأرض المقام عليها المنزل . فلو قدرنا متوسط ثمن المنزل الواحد — بما فى ذلك

الثمن المناسب للأرض — بحوالى خمسين جنيها لكان مجموع تكاليف بناء المساكن فى القرى والعزب مائة وخمسين مليونا من الجنيهات . وعلى ذلك فتجديد هذه المساكن كلها دفعة واحدة مجرد خيال ، لأن هذه التكاليف تقرب من ثروة مصر الزراعية جميعها .

قلنا إن فى مصر عشرين ألف عزبة ، يملكها كبار الملاك ، فلو كان متوسط عدد مساكن كل منها خمسة عشر مسكنا ، يقطن كلا منها خمسة أشخاص لكان عدد سكان العزب من هؤلاء العمال الزراعيين وأهاليهم نحو مليون ونصف . فاذا أمكن اصلاح جميع العزب أمكن تحسين مساكن هذا العدد الكبير ، دون أن تتحمل خزانة الدولة شيئا ما . وذلك بأن تستحث كبار الزراع أصحاب العزب على اصلاحها تدريجيا ، إصلاحا يتمشى مع الأصول الصحية ، وأن تعمل الحكومة على تشجيعهم بشتى وسائل التشجيع ، كأن تنظم مسابقات بينهم ، وتمنح الفائزين منهم جوائز مالية ، أو تمنحهم الألقاب والنياشين ، مع منح من يحتاج منهم قروضا من بنك التسليف لهذه الغاية ، لمدد طويلة وشروط سهلة ، ومع تبسيط فى الاجراءات ، وتيسير فى الدفع ، واستمرار العمل بقانون العزب بعد إضافة التشريعات اللازمة اليه ، فيتسابق أصحاب العزب فى هذا المضمار . ولا ننسى أن نذكر بالثناء الجميل ماتقوم به الجمعية الزراعية الملكية من تشجيع أصحاب العزب فى هذا السبيل .

ولإصلاح القرى المصرية بأقل نفقة ممكنة يجب على المصلحين أن يستحثوا خطى التطور البطىء ، ويقاوموا كل ظرف أو محاولة تعطل تياره أو تصده عن سبيله ، حتى لا يصطدم الإصلاح الحديث بتقاليد الفلاح وعاداته فيتعرض للتلاشى أو عدم الاستقرار . وفى هذه الطريقة وحدها الضمان الكافى للتقدم الى الأمام بخطى ثابتة آمنة العثار . ومما يزيد الاطمئنان الى مستقبلنا القريب أن جهود هؤلاء المصلحين فى هذا العمل سوف تقل تدريجيا كلما ارتفع مستوى فلاحنا اقتصاديا واجتماعيا . وسيأتى يوم قريب يقوم فيه الفلاح بإصلاح هذه الحال واستكمال هذا النقص بمحض رغبته ومن حر ماله .

إن أفضل ما يعمل فى هذا النوع من الاصلاح ، هو حث سكان القرى على أن يتداركوا بأنفسهم عيوب مساكنهم ، وهذا فى طوقهم ولا يكلفهم ثمنا باهظا .

فمثلا يمكن فتح نوافذ بسيطة تلائم حاجاتهم وعاداتهم ، للتهوية ودخول الشمس ، وهى لا تكلف كثيرا ، كما أن طلاء المساكن من الداخل ولو بالطين والتبن ثم رشها بالجير لا يتطلب مالا كثيرا ، ويمكن لأصحاب المساكن إجراء هذا العمل بأيديهم فتكون صحية ولا تأوى اليها الحشرات .

وكذلك الحال فى دك أرض المساكن من الداخل بأية مادة صماء كالشقف أو الحجر ، أو على الأقل بمخلوط الطين والتبن حسبما يتوفر فى المنطقة ، وهذا أيضا يقوم به أصحاب المساكن أنفسهم بارتفاع مناسب فلا يدفعون فى ذلك شيئا ، وتقل الرطوبة داخل المساكن.

ويمكن عمل السقف من نفس الغاب أو الجريد مع أفلاق النخيل المستعملة الآن ، بشرط رصها رصا منتظما وربطها معا بحبال دقيقة من ألياف النخيل أو غيرها . ثم دكها من أعلا بالطين والتبن ، وهذه عملية بسيطة سهلة يؤديها الفلاحون بأيديهم أيضا دون أن تكلفهم شيئا ، وبذلك ينتظم منظر السقف ويقل إيواؤه للهوام ، فضلا عن تلطيف حرارة الشمس صيفا والبرد شتاء .

وأكوام السماد ليس أسهل على الفلاح من أن ينقلها من الزريبة إلى رأس حقله مباشرة دون وضعها أمام المسكن ، وفى ذلك من النظافة مايبعد عنه وعن آل بيته كثيرا من الأمراض.

وكذلك الحال فى الأحطاب فلو أن الفلاح وضعها فى مكان يعدّه لها ولعلف الماشية الجاف فى حقله مثلا لقلت الحرائق التى تشب فى المساكن فتسبب أفدح الخسائر .

وحبذا لو أبطلت صناعة مادة الحريق من الروث حتى لا تكون مصدر قذارة للمسكن ولربة البيت التى تصنعها ، وسببا لتمكين الأمراض من جسمها وأجسام من تصنع لهم الخبز وتهيئ لهم الطعام ، فضلا عن فقدها كمادة سمادية عضوية يمكن للفلاح الاستفادة بها فى حقله .

أما مشكلة المواشى فالحل الوحيد لها الآن هو تركها داخل المسكن على أن توضع فى مكان بعيد منفصل عن مخدع الفلاح وأولاده .

ويمكن جعل الفرن ملائما فى المسكن ، وذلك بتعديل بسيط هو جعل فتحاته من الحوش مع بقائه فى الحجرة التى تستعمل عادة للنوم فيؤدى الغرضين معا : التدفئة وصناعة الخبز دون ضرر .

أما عن المراحيض فلو حفر مرحاض بسيط فى مكان مناسب بالمسكن ، لما تطلب ذلك من الفلاح مالا كثيرا ، ولنفى عن جسمه كثيرا من الأمراض .

وأما عن البرك والمستنقعات المنتشرة فى قرانا المصرية ، وعلى الأخص فى الوجه البحرى. فيمكن ردمها بتعاون أهل القرية مع بعضهم البعض . ويمكن توفير المياه الصالحة للشرب باستعمال طريقة الترسيب البسيطة ، اذا كانت القرية قريبة من النيل أو من ترعة عمومية ، أو بواسطة طلمبات يدوية اذا كانت بعيدة عنهما ، يتعاون الجميع فى وضعها بعد التأكد من صلاح مياه منطقتهم للشرب فلا يتكلف كل منهم الا القليل من النفقات .

وأما بقية ما أوردنا من عيوب المساكن كضيقها وقلة ارتفاع الحوائط وتلاصقها وضيق الممرات بينها ، فهذه يمكن اصلاحها تدريجيا عند إنشاء مساكن جديدة فتصلح القرى وتتسع الشوارع بمضى الزمن .

* * *

هـذا موجز لطرق الاصلاح المبسطة التي يمكن تنفيذها بأقل نفقة ممكنة ، وأعتقد أنها هينة على الأغلبية الساحقة من السكان ، وأنها توصل للغاية المرجوة قدر المستطاع . وتساعد على جعل الريف المصرى محببا لأهله داعيا للإقامة فيه بل لعودة من هجره من قبل .

ولسنا فى هـذا الإصلاح مبالغين ولا مبتكرين ، فقـد سبقتنا اليه دول أخرى وسنت قوانين تقضى بإشراف الحكومة على تخطيط وتجـديد مساكن العمال فى الريف والقضاء على المساكن القديمة غير الصحية . أو قيام الهيئات الأخرى بذلك ، كالمجالس القروية أو جمعيات تنشأ لهـذا الغرض تحت الإشراف الحكومى . فلعلنا نحذو هـذا الحذو مع مراعاة ظروفنا وعاداتنا ، وفى ميدان الإصلاح متسع للجميع .

محمود فهمى

— عليك أن تلبس الناس على أخلاقها ، وليس عليك ترقيع أخلاقها .

— الخير تنفعك جوازيه ، والشر تافحك نوازيه .

— الذليل متقيد بغير قيد ، كالكلب إن لم يسد بحث عن سيد .

— إذا خدع الطبيبُ المريضَ أعان الدواء ، و إذا خدع المريضُ الطبيبَ أعان الداء

شوقى

خواطر وملاحظات

من الواجب على الجمهور أن يحافظ على صحته ، وهذه المحافظة على الصحة واجب يلحق الأسرة فى البيت و يطلب من تاجر الأغذيه فى السوق ، وفيما عدا ذلك تبقى المحافظة على الصحة العامة مهملة حتى تتداركها عناية الله ، أى حتى تمد عناية الله يدها فتحرك المسئولين عن هذه الصحة العامة حركة لا يتخللها سكون ولا يقطعها نوم طويل .

وفى أكداس القوانين واللوائح تنظيمات لو أنها نفذت على النحو الذى وضعت له لكان أثرها فى الإصلاح الصحى عظيما ، ولكن حظها من التنفيذ يميل أبدا الى المعنى الأدبى ، يعنى أنها نصوص يقرؤها الناس فيعجبون بها إعجابهم بالكلام الحسن فى بابى الشعر والنثر ، واليك قليلا من الأمثلة لتقيس عليه الكثير مما تعرفه .

* * *

الذباب :

من مخلوقات الله المؤذية ، تصفه السلطات الصحية بأنه شر الأعداء ، وتذكر من عداوته أنه يحمل ميكروبات الأمراض المهلكة فيلوث بها كل شىء يقع عليه ، وتقول فى مقام النصح والتحذير إن خطره أشد من أن يستهان به .

وقد يستطيع كل أحد أن يقيم الحواجز والسدود دون هذا العدو الدائم العداوة فلا تفلت منه طائرة إلى داخل البيت ، ولكن الناس جميعا لا يستطيعون أن يمنعوه من الشوارع كما لا يستطيعون أن يمنعوا من الشوارع تلك الأشياء التى تستدعيه إلى نفسها وتغريه بالسقوط عليها وتدخر لجيوشه مؤونة لا تنفد .

وفى الطبقة الدنيا من الناس أشخاص لم تبلغهم دعوة الحياة ولا دعوة الحياء ، لا يخجلون — والشمس طالعة — أن يلقوا على الطريق أو على جوانبه تحت الجدران فضلات البطون ، ولا يخزيهم أن يعودوا صغار أبنائهم هذا العمل القبيح فأيما أدركتهم ضرورته قضوها حيثما كانوا .

وهناك آخرون من هذه الطبقة — من صغار التجار والباعة الجائلين وأرباب البيوت أيضا — يهون عليهم أن ينثروا فى الطريق أوساخ الكناسة ونفاية الطعام وكل متعفن من الفضلات .

وفى كل طريق تسلكه بين الأحياء الحقيرة تبقى عينك متنقلة من منظر امرأة تبيع فاكهة متعفنة إلى منظر رجل يبيع الحلوى ممزوجة بالتراب متنقلة بالذباب .

والناس فى بيوتهم لا يأمنون أن يفاجئهم الذباب بغاراته الجوية ، كما لا يأمنون أن يفاجئهم بهذه الغارات فى أى طريق سلكوه ، وهو مسلح بأسلحة الهلاك مما ادخرت أقذار الطريق ، وليست للوقاية منه وسيلة معروفة ، فلا كامات ولا خنادق ولا متاريس مشبعة بالزيت أو الماء تسدل على الأبواب والشبابيك ، لا شىء من هذا ونحوه بمستطاع ، بل ليس مستطاعا أن يعرف وقت غاراته بصفارة الإنذار !..

وفى القوانين واللوائح ما يمنع إلقاء الأقذار فى الطريق العام ، وفيها ما يحرم التبرز على قوارع الطرق وفى جوانبها ، وقد جعل تنفيذ هذا المنع من حق السلطة الصحية وحدها ، ولكن اللوائح والقوانين نائمة عن هذا المنع لأن أصحاب هذا الحق كرام متسامحون !..

* * *

غش اللبن :

يقول لك الطبيب : لا غذاء لمريضك العزيز غير اللبن ، ولو كنت تعلم أن اللبن المراد هو لبن العصفور لذهبت تبحث عن العصافير التى تدر لبنا يشربه مريضك العزيز ، ولكن الطبيب يريد لبن الجاموسة والبقرة ، وأنت لا تجد هذا اللبن إلا ماء ونشاء وأشياء أخرى غريبة ، فلا تملك إلا أن تخضع لحكم البائع والبائعة فيما يكيلانه من إنائهما ، وأمرك وأمر مريضك إلى الله ، فقد أصبح لبن البقرة والجاموسة أعز من لبن العصفور ! ...

امسكوا هذا ، حلقوا على هذه ، صادروا ما معهما من اللبن المغشوش ، خذوهما إلى دار البوليس ...

رأيت رقباء الصحة يفعلون ذلك مرة واحدة ، لا فى أطراف المدينة كلها ، بل فى طرف واحد منها ، ثم ماذا ؟... انقطع الخبر وانطمس الأثر ، وبقى تجار اللبن وباعته يغشونه كما شاءوا !

والقوانين واللوائح تريد من سلامة اللبن ما لا يريده هؤلاء الغاشون ، ولكن إذا لم يكن للوائح والقوانين ما تريد فليكن لهؤلاء الغاشين ما يريدون .

أما المرضى الذين لا غذاء لهم عند الطبيب غير اللبن ، فعليهم أن يختاروا إحدى الموتتين ، فإما أن يموتوا جوعا أو يموتوا بهذا اللبن المغشوش !

السمك الفاسد :

انتشرت فى بعض الأحياء الغاصة حوانيت لبيع السمك يذهب إليها الفقراء فيأخذونه وهو أشد برودة من الثلج الذى خرج منه .

فاذا امتحنت هذا السمك وجدته يابسا تحت الجس ، ورأيت عينه كالحة واكنها جامدة ، ثم إذا ذهبت ببوسته تحت الشمس والهواء ظهرت حقيقته ، فاذا هو منهرئ شديد الفساد.

وهناك باعة جائلون يحملون من هذه الحوانيت ومن سوق السمك أيضا ما يبقى بعد البيع عرضة للبوار ، ثم يطوفون به الأحياء البعيدة عن قلب المدينة أو الأحياء الفقيرة البائسة ، فلا يزالون يصيحون بمدحه ووصف جماله حتى يفرقوه بين المشترين سما زاعقا .

وتقوم حوانيت السمك الفاسد فى عمران المدينة لا فى فضاء القفر ، وتجاور فى سوق السمك الكبيرة المعروفة لا فى مقالب الزبالة البعيدة عن العمران ، وأريد أن أقول إن هذه وتلك تقع تحت أنف الرقابة الكريمة ، والعجب أن رائحتها الفياحة تجذب اليها أنوف المغشوشين بها ولا تجذب اليها أنف هذه الرقابة .

ونكبة الصحة العامة بالسمك الفاسد نكبة يومية ، فالتفتيش عليه يجب أن يكون يوميا ، ولكن هل هو كذلك ؟

لا ، بل فلتبق النكبة به يومية ، وليكن التفتيش مرة واحدة كل شهر ، فقد يبقى التجار والباعة فى انتظار هذه المرة الواحدة على حذر فتخف النكبة قليلا أو كثيرا ، وتظفر النار بطعامها من السمك الفاسد كل شهر مرة .

لا تشكون لعاذل أو عاذر ... حاليك فى السراء والضراء

فلرحمة المتوجعين غضاضة ... فى النفس مثل شماتة الأعداء

محمود سامى البارودى

من خانه الحظ خانته صنائعه ... وعاد ذنبا له ما كان إحسانا

ولا ترى الناس إلا حرب مضطهد ... وجالبين على المخذول خذلانا

أحمد شوقى

جرائم النشل

لحضرة اليوزباشي صالح زكي
مفاوض بوليس الآداب

جرائم النشل هي نوع من أنواع السرقة، لأنها لا تخرج عن كونها طريقة من طرق الاستيلاء على مال الغير . وقد سن القانون للسرقة والنشل عقوبة واحدة، ولكني أفردت لجرائم النشل بابا خاصا، لأن هذه الجرائم تفشت بشكل مروع فلا تكاد تخلو أعمدة الجرائد من ذكر حادثة أو حادثتين منها يوميا . ولعل السر في ذلك أن الأساليب التي تتبعها طائفة النشالين هي من المهارة والدقة بحيث يندر أن يفشل أحدهم في اقتناص فريسته . ومن مميزات هذه الطائفة خفة اليد وسرعة الخاطر وشدة الذكاء وقوة الدهاء . وهم يعتنون بمظاهرهم وهندامهم لأن هذا مما يساعدهم على إيهام الناس بأنهم وجهاء ، فلا تحوم حولهم شبهة ولا توجه إليهم تهمة ولا يظن إنسان بأحد منهم سوءا .

وللنشل أساليب وطرق شتى تختلف باختلاف الزمان والمكان والأشخاص . وليست حوادث النشل قاصرة على الرجال، بل هناك فئة من الصبية والنساء قد تلقوا أساليب النشل المختلفة على أخطر أساتذة النشل فبرعوا في ارتكاب هذه الجرائم بفضل تدريبهم . فأصبحوا من أمهر النشالين وأخطر المجرمين ، مما سنوضحه بعد .

طرق النشل :

لكل نشال طريقة خاصة أتقنها فأصبح إخصائيا فيها . فبعضهم لا ينشل الا في الطريق وآخرون لا ينشلون الا أثناء ركوب مركبات الترام أو سيارات الأمنيبوس أو أثناء النزول منها . والبعض لا ينشلون الا في الأمكنة التي تزدحم بالأهالي كالأسواق والحفلات والاحتفالات والموالد وحول شبابيك شراء التذاكر في المحطات والمسارح ودور السينما والمستشفيات . وسنتحدث عن كل حالة على حدة ، حتى يقف القارئ على أساليب هذه الطائفة فيتقي شرها . وإني أهيب بمن يقرأ هذا الباب من سكان القرى أن يقص على أهل قريته خصوصا البسطاء منهم أساليب هذه الجرائم حتى يأمنوا شر الوقوع في حبائل هؤلاء النشالين عند ما يفدون على المدن والعواصم

النشل بالطريقة الأمريكانية

بالرغم من تعدد حوادث هذا النوع من الجرائم وتنوير الجرائد لأذهان القراء بذكر كثير منها والطريقة التي يتبعها مرتكبوها فإن كثيرا من البسطاء ما زالوا يقعون بين مخالب تلك الطائفة ، وما زالت حوادث النشل بالطريقة الأمريكانية تقع بين آونة وأخرى دون أن يفطن اليها هؤلاء البسطاء . وقد أصبح من الضروري أن يقف كل إنسان على الأساليب التي يلجأ اليها هؤلاء اللصوص حتى يأمنوا شرهم ويكشفوا أمرهم . وسنوضح للقراء الأساليب التي يرتكب بها هؤلاء اللصوص جرائمهم

الطريقة الأولى :

ليس ارتكاب هذا النوع من النشل قاصرا على طائفة من اللصوص الرجال كما ذكرنا ، بل اختص به بعض النسوة العريقات فى الإجرام . وهن يرتكبن هذه الجريمة بمهارة فائقة خصوصا من السيدات الساذجات الوافدات من الريف فى مواسم القطن أو الموالد أو الأعياد . وأغلب ما ترتكب هذه السرقات ، من شخصين فأكثر . وطريقة ذلك أن اللصوص إذا ما وقع بصرهم على فلاحة أو فلاح ساذج وتأكدوا من وجود نقود معه فإن أحدهم يمر أمامه بمسافة ثم يلقى كيسا مغلقا ، به بعض الزلط ، وقطع من النقود النيكل ، حتى يتوهم من يعثر عليه أنه ملآن ، ويسير الآخر بجوار الفلاح ، فبعد أن يحييه ويتعرف به يجاذبه أطراف الحديث حتى يطمئن اليه فاذا ما اقترب من الكيس أسرع وتناوله بلهفة أمام الفلاح ثم ينتحى به ناحية ليفتحا الكيس . وفى أثناء ذلك يعود اللص الأول ويتجه نحوهما فيسلم اللص الثانى الكيس للفلاح ويكلفه بإخفائه وذلك بالجلوس عليه ، حتى اذا دنا منهما اللص الأول فسألهما عن الكيس ينكران عثورهما عليه فيعرفهما أن به كذا جنيها من الورق والفضة وأنه شاهد أحدهما يعطى الآخر شيئا وأنه يريد تفتيشهما فلا يمانع اللص الثانى فى التفتيش ويضطر الفلاح الى موافقته أيضا ، وفى أثناء عملية التفتيش يسرق كل ما يكون بحفظة الفلاح دون أن يلتفت الى ذلك ، لأنه يكون فى هذه الأثناء مشغولا بالتفكير فى المبلغ الكبير الذى يظنه فى المحفظة التى عثر عليها . ثم ينفرد اللص الثانى بالفلاح ، ويأخذ عليه عهدا بأن يقابله فى الشارع الآخر بعد لحظة لاقتسام ما فى المحفظة ، ويستحلفه بالطلاق ألا يفتح المحفظة إلا بحضوره . فيذهب الفلاح حيث يترك اللص ثم تخلى له بعد ذلك الحقيبة المرة ، فاذا به قد خسر نقوده ولم يصب إلا كيسا به كمية من الزلط والملاليم

الطريقة الثانية :

وهنالك طريقة أخرى يشترك فيها النساء مع اللصوص فى ارتكاب جرائمهم . وطريقة ذلك أنه عند ما يشاهد هؤلاء امرأة معها حلى ذهبية ، يتآمرون لسلب حليها . فتقدم اليها النشالة متصنعة الفزع مدعية بفقد حليها منها وتوجه التهمة اليها ، فتضطر هذه إلى عرض حليها على النشالة لتقنعها بأن الحلى التى معها ليست الحلى المفقودة ، وتشتبك النشالة معها فى مناقشة حادة ، وتتقدم فى هذه الأثناء شريكة للنشالة فتتدخل لحسم النزاع ، فتطلب من المرأة أن تسمح بتفتيشها ، فتقبل هذه راضية ، وتأخذ منها حليها لفحصها وتعرضها على النشالة ، فتنكر أنها حليها ، ثم تطلب من صاحبة الحلى منديلا لتلف لها فيه الحلى ، وأثناء انشغال المرأة بإخراج منديلها تكون زميلة النشالة قد أبدلت بالحلى الذهبية حليا أخرى من النحاس ، وتسرع بلفها لها فى المنديل ، وتربطه ربطا محكما ، ثم تعيده للمرأة وتكلفها بحفظه فى جيبها ثم تتركها النشالتان فلا تتبين المسكينة حقيقة الأمر إلا عند وصولها الى دارها أو بلدها فتندم على ما أصابها ، ولات ساعة مندم .

الطريقة الثالثة :

وفى بعض الحوادث المماثلة تتقدم النشالة من ريفية ساذجة متحلية فى معصمها أو عنقها أو أذنيها بحلى فتتهمها بأنها سرقت هذا المتاع منها وتمسك بتلابيبها فتحضر فى هذه الأثناء زميلة للنشالة مظهرة الرغبة فى التوفيق بينهما ، فتطلب من الريفية أن تنزع حليها لتراه المدعية فتأخذ المدعية الحلى وتقلبها بين يديها لفحصها ، وليس القصد من ذلك إلا التأكد من أنها ذهبية ، فإذا ماتم لها ذلك تعيد الحلى إلى صاحبتها وتتهمها بأنها أخفت حليها المسروقة معها . عند ذلك يتقدم شريك للنشالتين لفحص أسباب النزاع ويتناول الحلى بيده ويتظاهر باتصاره للريفية ، ويطلب منها منديلا أو خرقة ليلف فيها الحلى لها ، وفى أثناء انشغالها باخراج منديلها أو نزعه من على رأسها يكون قد أبدل بهذه الحلى أخرى من النحاس أو قطعا من حصى يلفها لها فى المنديل ويحكم ربطه جيدا ، ثم يأمرها بوضعه فى جيبها خشية أن يتعرض آخرون لها فى طريقها ، ثم ينصرف كل لحال سبيله ، ولا تلبث المسكينة إلا قليلا حتى تتفقد حليها فلا تجد إلا بعض الحصى أو حليا أخرى زائفة ، فتندب حظها .

الطريقة الرابعة :

النشل فى مركبات الترام أو الأمنيبوس

وطريقة ذلك أن النشال وأعوانه ينتظرون فى محطات الترام أو السيارات ، فعندما تقف عربة مزدحمة بالركاب يتصنع النشال الصعود فيصطدم عمدا بمن يريد نشله ويواجهه بصدره أثناء نزوله من العربة ، ثم يمد يده اليمنى من تحت اليسرى بخفة ورشاقة إلى حيث

فريسته ، فيمسك بإصبعيه السبابة والوسطى مايداخل الجيب سواء أكان محفظة أو أوراقا ، ويوجد أعوان النشال فى تلك اللحظة خلف المجنى عليه ، ويتشاحنون ويدفع بعضهم بعضا حتى يلتصق النشال بالمجنى عليه فيتمكن من سلب محفظته بسهولة دون أن يشعر لأنه فى تلك اللحظة يكون مشغولا بما هو حادث بين أعوان النشال من مشاحنة مصطنعة ومشاجرة مفتعلة .

الطريقة الخامسة :

ومن الحوادث العديدة التى يتقنها النشالون أن أحدهم يتنكر فى زى أحد مشايخ الطرق فيلبس عمامة خضراء أو حمراء ويعلق فى رقبته سبحة كبيرة فيسير ومعه زميل آخر حتى إذا قابلهما أحد الفلاحين البسطاء تقدم الزميل أمام الفلاح إلى زميله الشيخ فقبل يده والتمس منه الدعوات الصالحات وعرض عليه نقودا على سبيل الصدقة والإحسان ، فيرفض الشيخ لأنه ولىّ زاهد فى المال ، ولكنه يكتفى بأخذ النقود فى يده ليباركها له . كل هذا يحصل سراعا أمام نظر الفلاح وسمعه . فاذا مابدت عليه علائم الدهشة والاستغراب نصح زميل النشال للفلاح أن يتقدم إلى الشيخ المزيف ليبارك له نقوده ويدعو له بالخير ، لأنه من رجال " الخطوة " والتقوى والصلاح ، فينخدع الفلاح بذلك ويخرج محفظة نقوده فيسلم مابها من النقود للشيخ ليباركها له ، فيأخذها بين يديه ويتلو عليها بعض التعاويذ . وفى أثناء ذلك ينشل مافى المحفظة أو يستبدله به أوراقا مالية لاقيمة لها كالمبارك الألمانى أو أوراق زائفة أخرى يكون قد جهزها لهذا الغرض . ثم يعيد الشيخ للفلاح محفظته بعد أن يكلفه بربطها جيدا حتى لاتتسرب البركة منها ! فيفعل ذلك بسلامة نية وحسن طوية ، ويضع المحفظة فى جيبه حيث يجدها بعد برهة خاوية من النقود .

الطريقة السادسة :

ويتبع بعض النشالين طريقة خاصة فى النشل على سلم الترام ، أو سيارات الأمنيبوس حيث يقف النشال على السلم بجوار من يريد نشله ، ويمد يده من تحت الأخرى التى يكون ممسكا بها فى الترام أو السيارة وينشل ماتصل إليه يده بخفة . ويستخدم بعض النشالين أحيانا صبيا من أعوانه فيجلس بجوار المجنى عليه ويشير إليه أن يتظاهر بالنوم ، ويمد يده فى هذه الأثناء من تحت الأخرى بالطريقة السابقة لنشل محفظته ، فاذا ماأحس به المجنى عليه تمايل كما لو كان غارقا فى النوم ، فيصيح به النشال ويهم بضربه ليوقظه فيتظاهر بالخوف ويلتصق بالمجنى عليه ويمسك بتلابيبه فزعا ، وفى هذه الأثناء يتمكن الصبى من نشله .

وليس ثمة طريقة لاتقاء مثل هذه الحوادث سوى أن يكون الانسان يقظا عند صعوده وركوبه ونزوله ، فإذا ما احتك به أحد أو التصق به إنسان ، وجب عليه أن يتنبه لما يدور حوله ، ويتفقد نقوده فى الحال حتى يطمئن عليها ، ولما كانت الجيوب الداخلية مخصصة عادة لوضع محافظ النقود بها ، فمن الأصوب أن يجعل الإنسان لها غطاء محكما بحيث يتعذر على النشال الوصول إلى المحفظة بإصبعيه مع وجود هذا الغطاء .

النشل فى الزحام :

هذه العملية لاتحتاج إلى مجهود أوعناء ، لأن النشال يجد فريسته مقيدا وسط ضغط من كل جانب ، ولأنه يكون مشغولا بإفساح مكان أو طريق له ، فلا يشعر بشىء مما يفعله به النشال ، وأكثر ما تحصل حوادث النشل التى من هذا القبيل ، فى الموالد والحفلات وعند شبابيك صرف تذاكر السفر من المحطات وتذاكر دور السينما والتمثيل ، وفى زحام الأضرحة والمستشفيات .

وقد انتشرت سرقة السوارات الذهبية بالقاهرة فى الجهات الأخيرة حيث يتزاحم الزوار والمرضى ، وأكثرهن من النساء ، حول الأضرحة وشبابيك التذاكر المخصصة لدخول المستشفيات وصرف الأدوية ، فتندس النشالات بينهن فينشلن ماتصل اليه أيديهن من مصوغ دون أن يشعر بهن أحد .

ولكى يتقى الإنسان هذه الجرائم يحسن به إذا وجد فى مكان مزدحم أن يضع يده فوق الجهة التى بها نقوده أو مصوغه حتى لاتصل اليه يد النشال .

أساليب النشل المختلفة :

يعمد كثير من النشالين إلى طرق مختلفة أخرى تدل على عظيم قدرتهم وجرأتهم فى فن الإجرام ، فهم يستنبطون أدق الحيل عند ارتكاب جرائمهم للحصول على بغيتهم مهما كلفهم ذلك . فبعضهم يستخدم طفلا من المدربين على النشل ، ويسير به فى الطريق حتى إذا أقبل عليهما وجيه من بعد ، أخذ النشال يضرب الغلام ضربا مبرحا ، فيسرع الوجيه للدفاع عنه ويتدخل لتخليص الغلام ، فيتعلق هذا بأهدابه ويمهد أثناء ذلك للنشال السبيل إلى تنفيذ مأموريته ، كأن يحل له أزرار السترة أو يقلب له طرفها حتى يتمكن النشال من سلب المحفظة ثم يعدو الغلام والنشال خلفه فائزين بغنيمتهما .

وبعض النشالين يقابلون من يريدون نشله فيبتدره بالسب ويدعى أحيانا أن المجنى عليه يطلب منه منكرا وذلك ليبرر الاعتداء عليه ، ويكون الجمهور فى جانبه ، ويشتبك معه فى شجار فيتداخل الباقون لفض المشاجرة ، ويتظاهرون بالدفاع عن المجنى عليه ، ويمرون بأيديهم على

صدره لتطييب خاطره، وفى هذه الأثناء يتمكنون من اكتشاف مكان وجود المحفظة فينشلها أحدهم دون أن يتنبه إلى ذلك .

ويتبع بعض النشالين طرقا أخرى مشابهة لهذه ، ولكن لاتحتاج إلى أكثر من شخص واحد لارتكابها ، بأن يقابل النشال من يريد نشله فى مواجهته ، فيتظاهر أحيانا بالسكر ويحتضنه بإحدى يديه ويقبله ، وفى هذه الأثناء يمد يده الأخرى إلى حيث يسلبه محفظة نقوده دون أن يشعر بشىء لأنه فى تلك اللحظة يكون مشغولا بتخليص نفسه من يدى النشال وقبلاته .

ومن أساليب النشل المعروفه استخدام مشرط أو موسى من أمواس الحلاقة فى ارتكاب جريمة النشل، وأكثر نشالى هذه الطريقة من الصبية الصغار لأنهم يرتكبون جرائمهم بالركوب فى مركبات الترام من الجهة اليسرى ويجلسون على حافة المركبات وأرجلهم على السلم ويمدون أيديهم بالمشرط فيشقون أسفل جيب الراكب شقا يساعد على سقوط المحفظة ، فيتناولها ويقذف بها إلى الأرض، ثم يترجل لأخذها دون أن يشعر به أحد. وهؤلاء الغلمان يتدربون على هذه العملية فيؤدونها بخفة ورشاقة وإتقان . وهم لايبذلون أى مجهود فى سبيل ارتكاب جرائمهم هذه .

ومن أظرف حوادث النشل التى دلت على نبوغ بعض حضرات الضباط الاخصائيين بمباحث حكمدارية القاهرة ، واستفادتهم من الوقوف على أساليب المجرمين ومعرفة شخصياتهم من الطريقة التى يتبعها كل مجرم عند ارتكاب جريمته ، أن أستاذ القانون الرومانى بكلية الحقوق الملكية أبلغ المحافظة أن نشالا نشل محفظة نقوده أثناء ركوبه ترام الجيزة بجهة " أبو العلا " بطريقة خاصة، وذلك بأن جلس بجواره ثم ضربه على وجهه بطرف " كوفية " كان يلفها حول رقبته ثم نشل محفظته فى هذه الأثناء . وكان يرأس فرقة البوليس الملكى الخاصة بضبط النشالين بالمحافظة حضرة اليوزباشى لمعى المصرى افندى ، وهو ممن وقفوا على أسرار النشالين ودرسوا حيلهم وأساليبهم ، فما كاد المجنى عليه يذكر له الطريقة التى اتبعها النشال حتى عرفه ووعده بضبط المتهم بعد دقائق . واتجهت شبهة حضرة المعاون فى ذلك الحين إلى نشال خطير انفرد باتباع الطريقة التى ذكرها المجنى عليه فاعتقله ثم عرضه عرضا قانونيا على المجنى عليه ، فما كاد يراه حتى استعرف عليه .

ومن ظريف ماحصل أن المجنى عليه ، عند ما عرض عليه المتهم واستعرف عليه قال " لو قيل لى إن هذا المتهم كان وقت حصول الحادث بأمريكا لأيقنت أن الفاعل توأم له " .

ثم التفت إلى المعاون وقال " إنى أكاد أعتقد أنك كنت معنا فى الترام ، وأنك رأيت المتهم وهو ينشلنى " فكان رد حضرة المعاون عليه " لو أنى كنت فى الترام معك ، ماجرؤ المتهم على صعود الترام ونشلك ، لأنه يعرفنى جيدا كما أعرفه " وقد ظهر أن النشال من أخطر نشالى القاهرة ، وأنه عائد ، فحكم عليه بالسجن ست سنوات .

وهناك طائفة أخرى من النشالين يحترفون مهنة مروضى القرود ، "قرداتية" ،وهؤلاء يرتكبون جرائم النشل باستخدام قرد يدربونه على حركات خاصة لمساعدتهم فى النشل فاذا ما وقف القرداتى ليلعب مع القرد ، واجتمع حوله المتفرجون ، أشار "القرداتى" الى القرد اشارة مخصوصة ، فيهجم على أحد المتفرجين ممن تتوسم فيهم الوجاهة ، ويمسك بتلابيبه ، فيبادر القرداتى لتخليصه من القرد ، وفى هذه الأثناء يتمكن من نشله دون أن يشعر بشىء ، لأنه فى ذلك الحين يكون كل همه الخلاص من القرد حتى لا يمسه بأذى

ولاتقاء هذه الحوادث يجب على كل إنسان أن يقف على هذه الأساليب ويفهمها جيدا . وكم تكون الفائدة أعم ،والنتيجة مثمرة ، لو وفق المتعلمون فى البلاد والقرى الى إلقاء محاضرات على الأهالى ليحذروهم من حيل هـذه الطوائف وأساليبها ، فإذا ما وفد أحدهم إلى العواصم والمدن كان فى مأمن من الوقوع فى حبائلهم

وهناك ملاحظة دقيقة يجب لفت الجمهور اليها قبل الانتهاء من هـذا الباب ، وهى أن أكثر الأشخاص الذين ينشلون أثناء ركوبهم يهملون المحافظة على ما فى جيوبهم فاكثر الركاب يتركون جاكتاتهم مفتوحة أثناء الركوب ، تاركين أطرافها متدليـة وراءهم بحالة تسهل للنشال سبيل النجاح فى مأموريته .

هذا وقد حصرت إدارة المباحث الجنائية بالقاهرة أخطر النشالين ،وأخذت لهم صورا فتوغرافية لعرضها على المجنى عليهم ، وقد أتت هذه الطريقة بفائدة كبيرة ، إذ أن أكثر المجنى عليهم عند عرض هذه الصور عليهم يستعرفون على النشال الذى يكون قد احتك بهم . وهذه الصور معروضة بادارة المباحث الجنائية بالمحافظة ، وبالأقسام فى دائرة المدينة .

صالح زكى

بوزباشى

مكتبة الأطفال وكتبهم

كان الظن السائد أن الطفل يجب ألا يعرف غير القصص الخرافية والتافه من المعارف . والغريب أن هـذه القصص لم تكن مع ذلك لذيذة مغرية بالقراءة . ولم يخطر ببال الآباء والمعلمين من أبناء الجيل المـاضى أن الأطفال يحبون المعارف التى يحبها الكبار مع اختلاف فى الدرجة فقط ومع اختلاف فى اللغة التى تكتب بها . لأن مدخر الطفل المبتدئ فى القراءة لايزيد على بضع مئات من الكلمات ، فاذا صدمته كلمة غريبـة أعرض عما يقرأ مع رغبته الحارة فى الوقوف على حقائق القصة أو الموضوع الذى أمام عينيه .

ونحن نرى الأطفال يهرعون الى الدور السينمائية ويتبعون القصص والموضوعات المعروضة أمامهم ، ويذكرون أبطال هذه القصة أوتلك الأخرى التى يتتبعها ويذكرها الكبار . وهم يقبلون على اللوحة السينمائية لأنهم يجـدون الإغراء العظيم فى وقائع القصة وتصويرها بل تشخيصها . كما يجدون اللغة المبسطة التى يفهمون منها القدر الكافى لتتبع القصة .

ويجب علينا لذلك أن نستنتج أنه إذا كان الأطفال يهتمون لرؤية الأفلام السينمائية فإنهم يجب أن يهتموا لقراءة الكتب التى تستثير اهتمامهم ورغبتهم بالأسلوب الذى تكتب به واختيار الموضوعات والقصص الشائقة والعناية بالتصوير وغير ذلك .

وقد عرف هذه الحقيقة المهيمنون على كتب الأطفال فى أوربا فصارت تخرج الكتب من المطابع وهى مجلدة أحسن التجليد ومصورة بالألوان ، وموضوعاتها تختلف من العلوم الطبيعية الى التاريخ ، ومن القصص الى التراجم ، ومن وصف الوحوش الى حياة النبات . فالموضوعات كما يرى القارئ جدية ولكنها تعالج بطريقة لاتعدو كفاءة الأطفال . فان الطفل يمكنه مهما يكن عمره ومادام يستطيع القراءة البسيطة أن يقرأ تاريخ الأسكندر المقدونى وأن يلتذ وصف الحياة فى الهند وأن ينظر الى صـــورة الأسد ويعرف كيف يعيش فى الغابة . وقد رأينا موسوعة ألفها " ارثر مى " للأطفال تتناول المعـارف البشرية بأسلوب مبسط سواء فى اللغة أو الايجاز أو الترتيب . كما أن هذا المؤلف نفسه قد أخرج مؤلفا ضخما آخر هو تراجم الأبطال فى العالم ، الترجمة فيه لا تتجاوز بضع صفحات مزودة بالصورة أو الصور الجذابة .

وفى الولايات المتحدة مؤلف آخر هو " فان لون " استطاع أن يخرج تاريخا عاما ، ثم جغرافية عامة للعالم . وكلاهما تحفة يقتنيها الكبار وينتفعون بها قبل الصغار . فقد جعل المؤلف كلا من هذين العلمين قصة لذيذة تستهوى القارئ الصغير وتفتح له بابا بل أبوابا للثقافة .

وفى الولايات المتحدة أيضا كبير من كبراء التربية هو "نورتديك" فانه نظر فى المعاجم الانجليزية فوجد أنها مما يشق على الطفل البحث فيه . فألف معجما جديدا لا نستطيع أن نقول إنه موجز و إنما نقول إنه مبسط واف يسهل البحث فيه. ويجب ألا ننسى أن العادة الجارية فى أوربا أنه لا يؤلف الكتب للأطفال غير أفضل الكتاب وأقدرهم وأشهرهم . فان رديارد كبلنج الشاعر المشهور قد بنى شهرته على قصة بل قصص للأطفال . وكذلك ه . ج . ولز الكاتب العالمى قد ألف قصصا للأطفال .

ومجلات الأطفال كثيرة فى أوربا ، وهى تحتال على قرائها الصغار لكى تجذبهم الى القراءة والاهتمام بشؤون ثقافية مختلفة .

أما الحال فى مصر فليست مما يسر . لأن الأطفال عندنا لا يجدون الكتب الجذابة المغرية . ولا نستطيع أن نلقى اللوم وحده على المؤلفين ، لأن كتب الأطفال هى فى الواقع مجهود جماعى وليس فرديا ، اذ هو يتوقف على الطابع والناشر كما يتوقف على المؤلف . فان الطفل تغلب على يديه حركات العنف فى التناول وهو يجرى و يقفز . فاذا لم يكن الكتاب مجلدا متينا فانه يتناثر منه وسرعان مايكرهه هو بعدذلك، لأن جدته قد فارقته . فأول ماينبغى فى كتب الأطفال أن تكون مجلدة متينة . و بعد ذلك يجب أن نقول إننا مازلنا نسير على الرأى القديم وهو أن الأطفال يجب ألا يعرفوا التافه من المعلومات .وهذا خطأ أثبته المؤلفون الأوربيون والأمريكيون كما أثبته الأفلام السينمائية التى يهرع اليها الأطفال يشهدونها و يتفهمونها .

ولسنا ننكر بعض المجهودات التى قام بها مؤلفون مصريون . ولكن هذا المجهود لايزال ناقصا من ناحية اتقان الطبع والتجليد ، ومن ناحية الاقتصار على الموضوعات التافهة دون الموضوعات الخطيرة .

المقاهي وأثرها في المجتمع المصري

للأستاذ أحمد حلمي علي

أستاذ المواد الاجتماعية بالمدارس الثانوية

يعيبنا الكثيرون من الأجانب بكثرة ما في مصر من مقاه، ويذهب بعضهم إلى أنها سبب من الأسباب الرئيسية في قلة الانسجام والتعاطف والترابط بين أعضاء الأسرة المصرية، وأنها علة ما يشوب المجتمع المصري من تراخ وتواكل وشحوب وإعراض عن العلوم والفنون والآداب، هذا إلى ما في الإقبال عليها من مضيعة للوقت والجهد والمال.

وفي الحق إن المقاهي لم تلق في مملكة من الممالك مثل ما تلقاه في مصر من رواج، بل ليس في العالم بلد انتشرت فيه انتشارها في مصر، وأثرت في أهله تأثيرها في أهل مصر، وهي الآن آخذة في الازدياد في المدن والمراكز والقرى، وقد يزيد عددها في ميدان واحد من ميادين القاهرة على العشرة كما هو الحال في ميدان السيدة زينب مثلا.

وعلى القهوة يقبل الطالب بعد الانتهاء من مدرسته، والموظف بعد أن يطل على بيته، والعامل بعد أن يخلع عنه ملابس العمل، والتاجر والزارع والغني والفقير والصغير والكبير ليقضوا كل ليلة ساعات في لعب النرد أو غيره أو في ثرثرة ضررها أكثر من نفعها والكل لاه عن واجبه وعن بيته وولده، بل عن نفسه وما تحتاج اليه من تثقيف وتهذيب.

البيت مطعم أو فندق يزوره صاحبه لماما ليلقي نظرة سريعة على الزوج والولد، وقد يكون هذا في زيارة عقيمة أو في سبات عميق، فلا اتصال ولا تفاهم بين الأسرة وربها، ولا اهتمام بالبيت وشئونه وما يجب أن يسوده من محبة وألفة وصفاء، وأن يتوافر فيه من كتب ومجلات ومذياع وصور فنية، ووسائل للتسلية والترفيه، فهل من عجب بعد ذلك أن تسأم الزوجة حياة العزلة التي تحياها حبيسة بيتها، وأن يفسد الأبناء وينهار البيت على صاحبه وهو في القهوة لاه يقتل الوقت أو على الأصح يقتل نفسه وذويه!!...

إذا قضى الرجل أوقات فراغه في القهوة فمتى يعنى بصحته ورياضة بدنه؟ ومتى يزامل زوجه ويشرف على تربية أولاده وتثقيفهم؟ ومتى يدبر شئونه ويزيد في معلوماته ويقرأ ويطالع؟

كثيرون منا يجهلون أشياء لا يغتفر الجهل بها ، وقليلون هم الذين يستطيعون أن يفاخروا بثقافة عالية واطلاع واسع فى الفنون والآداب . حقا لقد كثر حملة الشهادات ولكن الشهادات ليست هى كل شيء ، وإنما هى مجرد سلم أو باب يؤدى إلى ساحات رحبة زاخرة بالجهود الانسانية المتنوعة .

قليلون هم الذين يستطيعون أن يميزوا أنواع الأشجار المختلفة المنتشرة فى متنزهاتنا ، وأقل منهم من يعرف الجارونيا أو الجاردينيا أو الداليا أو الأراولة أو السنراريا أو حتى النرجس والقرنفل مع أننا شعب زراعى ، الزراعة قوام حياته ، ومصدر ثروته وهدفه فيما ينشد من رقى وإصلاح . ثم بآيات من الجمال الطبعى والفنى الرائع فلا نحس بها ولا نفهم منها شيئا ، ولا نقف لحظة نمعن النظر فيما يشيع فى بلادنا وفى وادينا من جمال يقدره الأجنبى قدره ويسعى إليه من أقصى الأرض ، مأخوذا بسحره ، دهشا بكل ما تقع عليه عينه من عجائب مصر القديمة والحديثة .

وقليلون جدا هم الذين ضربوا بسهم وافر فى الفنون والآداب مع أن بين ظهرانينا من الشبان الأجانب من لو قارناهم بشبابنا لتبين الفرق شاسعا ولأدركنا مدى ما ينقصنا لنرتفع إلى مستواهم .

ترى الشاب الفرنسى مثلا قد قرأ فى أوقات فراغه مؤلفات أئمة الأدب الأوربى ، وتراه يعرف رامبران وميكل انجيلو وباخ وموزار و بتهوفن وفردى وغيرهم من أبطال الرسم والتصوير والموسيقا . هذا إلى إلمامه العجيب بالكثير مما يتصل بالأوبرا والمسرح والسياسة والاجتماع ، ثم تراه فوق ذلك متميزا بشخصية خاصة ، وميول خاصة ، وآراء خاصة ، له نظرياته فى الحياة وله فلسفته ، وله مبادئ يستريح إليها ، كما أن له مثله العليا ، يهتدى بهديها و يترسم خطاها .

أما نحن فلم تترك لنا القهوة وقتا نستكمل فيه ثقافتنا ، طغت على أوقات فراغنا فحرمتنا الاستمتاع بكل ما هو طريف سواء فى الأدب أو الفن . لذلك يشكو أدباؤنا وكتابنا ندرة القراء ، ويندب أهل الفن من ممثلين ومطربين ورسامين ومصورين حظهم ، وتعج المقاهى بالألوف ممن يقتلون الوقت فى لهو ومزاح كأنما العمر كله : ديوان فى الصباح ، وسهر الليالى بين الخلان والأقداح . و بما أن العلوم والفنون هى أصدق مقياس لرقى الأمم ، فلن نصل إلى ما نبتغيه لبلادنا من سؤدد ومجد إلا أن يتغير الحال غير الحال ... .

وجدير بنا أن نسرع الى معالجة هذا الداء قبل أن يستفحل شره ... فعلينا أن ننظم أوقات فراغنا وأن نستثمرها فيما يعود علينا وعلى ذوينا بالنفع ، وأن نقبل على الأندية الرياضية فنقوى اجسامنا ، وعلى الحقول والمتنزهات العامة فنستمتع ، ومعنا أولادنا واخواننا ، بالهواء النقى الخالص

و بجمال الطبيعة وسحرها ، ثم نزور المكتبات العامة فتزود بالمعلومات الشائقة . وتتهذب طباعنا ، و يرتفع مستوانا الخلقي والثقافي . كل ذلك بعد أن نكون قد نظمنا بيوتنا — كل على قدر طاقته — وأعددنا فيها وسائل الترفية والتثقيف ، وجعلناها صالحة لاستقبال الرصفاء والأصدقاء، وليس يضيرنا أن نكشف للناس عن رقة حالنا أوفقرنا وانما الذى يضيرنا أن نترك البيت فى حاجة ماسة الى عنايتنا واهتمامنا والى كل ما نتقاضاه من أجر ، وننفق فى سخاء على ملاهينا ومقاهينا ، وقد يندفع البعض فى حب الظهور الكاذب الفاضح ، الى درجة تدعو الى العجب ، أو على الأصح الى السخرية .

إننا إن نظمنا حياتنا و بيتنا وفراغنا ولهونا نهض بالأسرة نهضة لا شك فيها ، وتتوثق روابط المحبة بين الزوج وزوجه ، و بين الأب و بنيه ، و يزداد تعاونهم على الحياة ، ويسودهم البشر والسرور ، فيتهافت الجميع على البيت حيث ترفرف السعادة والهناءة ، وحيث يجد كل عضو من أعضاء الأسرة العطف والحنان والسلية وغذاء النفس والروح ، وعندئذ يرقى المجتمع المصرى وتتوطد دعائمه على أرفع الأسس وأسماها ، وتتوافر لدينا طبقة عالية من الرجال — نحن فى مسيس الحاجة اليهم — يتميزون بشجاعة الرأى والقلب ، ويدركون وعورة الطريق ويكافحون بصبر وجلد زوابع الحياة ، ويتبادلون فى مهارة قيادة السفينة الى مرفئها الأمين .

ولعل وزارة الشؤون الاجتماعية تولى مشكلة المقاهى نصيبا من عنايتها ، فلا تقصر جهودها على محاربة الحانات ودور الميسر ، بل تضع من القيود التشريعية أو المالية ما يخفف من انتشار هذه المقاهى ، بحيث لا يتبقى منها إلا القليل الضرورى ، اللازم للنزلاء والأجانب ، وأرباب المصالح العاجلة ، وفى الوقت نفسه تشجع على فتح أندية رياضية وثقافية وتعاونية ، ومكتبات عامة فى كل قسم من أقسام القاهرة والاسكندرية ، وفى كل مديرية أو مركز من مراكز المملكة المصرية كما هو الحال فى سائر الدول المتمدينة .

و إنها لخطوة موفقة تلك التى خطتها الوزارة فى سبيل إنشاء الوحدات الاجتماعية والعلاجية ومراكز النشاط الاجتماعى فى المدن والقرى ، كما يسرنا كثيرا أن نشير مغتبطين إلى ما رصدته الوزارة فى ميزانية هذا العام من مال ولو قليل لينفق فى تأسيس الأندية ومساكن العمال وغيرها من وجوه الإصلاح الاجتماعى الأخرى .

والأمل كبير فى أن يقضى التعليم عند تعميمه على نقط الضعف فى مجتمعنا المصرى ، وأن يتضاءل شأن المقاهى فى مصر ، تلك الدور التى تشغل الناس عن أنفسهم وأزواجهم وعن زينة الحياة الدنيا والآخرة .

أحمد حلمى على

بطاقات لتهذيب الذوق العام

اقتراح عملي لطيف

بقلم مصلح

من الأنباء الطريفة التي تهم المشتغلين بتهذيب المجتمع والسمو بالأخلاق نحو الكمال والنقاء هذا النبأ الذي قرأناه في الصحف تحت عنوان : « أسبوع مكافحة الثرثرة في ساوثمبتون » وقد جاء فيه ما يأتي :

" قويل أسبوع مكافحة الثرثرة في مدينة ساوثمبتون بالاستحسان والتحبيذ في جميع أنحاء بريطانيا العظمى .

وهذا الأسبوع من ابتكار ولاة أمور المجلس البلدي في ساوثمبتون، الذي يرمون من ورائه إلى التأثير في نفوس الأهالي وجعلهم يقدرون خطورة الأحاديث المرتجلة والأقوال المرسلة على عواهنها دون احتياط ولا تحرز .

وقد قال عمدة مدينة ساوثمبتون في هذا الصدد : " إن الثرثرة ونشر الأخبار جزافا والتعليق عليها في غير روية ولا حذر، لمن أخطر الأمور في الظروف الحاضرة . ولهذا رأينا أن نتخذ إجراء جديدا من نوعه لنقوب به خطورة الأمر إلى أذهان الأهالي في مدينتنا " .

وقد حمل كثير من وجهاء المدينة والمسئولين فيها بطاقات طبعت عليها هذه العبارة : " ألا ترى أن الثرثرة تفيد العدو في هذه الظروف أو أنها قد تكون ، وإن لم تقصد ، ذات أثر خطير ؟ " .

* * *

أرأيت إلى الإحساس المرهف، والذوق السليم كيف لا يطيقان عيبا من العيوب الخلقية لعله في نظرنا من أهون العيوب وأبرئها وأبعدها عن التفات النقاد والمصلحين ؟

لقد قرأت نبأ " أسبوع مكافحة الثرثرة " وكنت قد قرأت قبله في العدد الخامس من مجلة الشؤون الاجتماعية مقالا شديد اللهجة عنوانه : " لكي تكون إنسانا مهذبا " فهالني الفرق بين هذه البقية الباقية من عيوب المجتمع الانجليزي، وبين ذاك العدد الهائل من العيوب الاجتماعية أو الخلقية الفاشية في مجتمعنا المصري التي أوردتها المجلة أو التي ضربت منها أمثالا .

ووددت لو اتبعنا فى مكافحة عيوبنا مثل هـذه الطريقة الفعالة اللطيفة الطريفـة التى ابتكرها المجلس البلدى فى ساوثمبتون .

وددت لو أن مجالسنا البلدية أو جمعياتنا المشتغلة بالإصلاح والتى لهـا تشكيلات منظمة ومتطوعون كثيرون كجمعيات الشبان المسلمين والمسيحيين ورابطة الاصلاح الاجتماعى والأندية الثقافية والرياضية ، أخذت بهذه الطريقة المبتكرة لنهى الناس عن العادات السيئة الشائعة فيهم . وهى ، بلا شك ، طريقة سهلة التنفيذ خفيفة الوقع على النفوس . إذ ليس أظرف فى النصح والزجر من أن تجد بطاقة صغيرة مطبوعة قـد دست فى يدك أو تركت أمامك على منضدة المقهى ، تقرأ فيها نصيحة تنهاك عن عمل سيئ تكون قد عملته فى تلك اللحظة .

والاقتراح الذى اقترحه على جماعاتنا المشتغلة بالاصلاح الاجتماعى هو أن تطبع بطاقات صغيرة فى حجم بطاقات الزيارة تحمل كل منها واحدة من هذه النصائح :

(١) " أنت إنسان مهذب فحبذا لو تركت عادة البصق فى الأمكنة العـامة لتكون إنسانا كاملا لا عيب فيه " .

(٢) " فى جيبك منديل . فلمـاذا تمتخط على الأرض وتقرف الناس ؟ " .

(٣) " قشرة الموز التى رميتها الآن على إفريز الشارع قد تنزلق عليها قدم أحد المـارة فيسقط على الأرض ، وقد يصاب ، فهل يرضيك ذلك ؟ " .

(٤) " هل يسرك أن يتبول الناس تحت نافذتك فتشم من الروائح مالا تحب أن تشم ويرى أهل بيتك ما لا تحب أن يروا ؟ إذن لمـاذا تسمح لنفسك بالتبول تحت نوافذ الغير ؟ " .

(٥) " ماذا عليك لو أبقيت بيدك أوراقك المهملة حتى ترميها فى السلة المعدة لذلك ، ولمـاذا تأبى إلا أن توسخ الشارع بهذه الأوراق ؟ " .

(٦) " أنت طالب أو موظف أو وجيه ، فهل ترى من الكرامة أن تتسكع هكذا أمام دور السينما والتمثيل لتتفرج برؤية الداخلات والخارجات . وهل يرضيك أن يحكك أحد بإحدى قريباتك كما تفعل الآن ؟ " .

(٧) " باسم الذوق نرجو منك ألا تتنخم وألا تبصق بصوت عال مرة أخرى وأنت تغسل يديك فى مطعم عام ، فإن الآكلين يتقززون من ذلك " .

(٨) " هذه الفوطة التى كنت تجفف بها عرقك الآن فى المطعم قد يستعملها غيرك بعدك ، فهل ترضى أن تمسح فمك بفوطة كان غيرك يجفف بها عرقه أو ينظف بها أسنانه ؟ ".

الخ ... الخ ... من تلك النصائح والوصايا المؤدبة التى تفيد .

وعلى المتطوعين أن يحملوا فى جيوبهم كمية من كل من هذه البطاقات حتى إذا صادف أحدهم شخصا ارتكب مخالفة من تلك المخالفات ، اقترب منه باسما وبأدب ووضع فى يده البطاقة التى تعيب عليه مخالفته .

والواقع أنك قد تحرج أن تواجه أصحاب هذه العيوب بعيوبهم ، لأن كثيرا منهم مكابرون أو متبجحون ، وقد يقابلون نصيحتك مستنكرين تدخلك الذى يسمونه تطفلا أو فضولا ، ولكن من السهل أن تدله على عيبه وتنهاه عنه بهذه " المكاتبة " التى لا تكلفك عناء ولا حرجا . وعندئذ لا يكون للكابر والمتبجح عليك سبيل ما دمت لا تخجله بذكر عيبه أمام الناس . ولسنا نشك فى أن لهذا النصح المؤدب الرقيق أثرا حسنا فى نفسه ، وردعا عن سوء عمله .

حبذا لو أعرنا هذه الهنات اهتمامنا ، وحبذا لو جندت لها جمعياتنا فرقا من شبابنا المهذبين . إذن لوصلنا بهذه اليقظة وهذا الجد إلى تطهير الذوق من عيوب كثيرة ، ولأقمنا على أخلاقنا فى المجتمع حراسة فكهة ناجحة محببة إلى القلوب .

وعلى كل حال فهذه تجربة إن لم تفد فهى لن تضر ، فلنجربها ، وما دام مثلها قد نجح فى انجلترا فلماذا لا تنجح فى مصر ؟

مصلح

متفرقات اجتماعية

القصور الثقافى فى المرأة :

يلق الزوج فى مصر عنتا مرهقا من القصور الثقافى فى زوجته . فقد تعودنا أن نعنى بتعليم أبنائنا الذكور حتى لقد نبيع بعض عقاراتنا لكى نؤدى لهم مصروفات المدارس والجامعة ولكنا نقنع باليسير الرخيص من تعليم البنات .

فاذا تزوجت الفتاة عانى زوجها منها قصورا عظيما فى الثقافة . فهو فعلا يقتنى الكتب الثمينة أو المجلات الجديدة فى حين تقنع هى بالتافه من المجلات الأسبوعية وتشغل عقلها بما فيها من قيل وقال . فتتفرج بينهما هوة تتسع بمضى السنين . لأنه هو ينمو ويرقى بينما هى تركد وتجمد . فلا يشترك الاثنان فى حديث أو مسامرة وينفرد كل منهما بشواغل ذهنية مختلفة كأن كلا منهما يعيش فى عالم منفصل عن العالم الذى يعيش فيه الآخر . بل لقد يسأم أحدهما الآخر لهذا الانفصال ويقتصر الاتصال الزوجى بينهما على العلاقة الاقتصادية والفسيولوجية . وعندئذ يبحث الزوج عن أصدقاء مساوين خارج البيت كما تنشد الزوجة صديقات فى مستواها يتحدثن حديثها ويهتممن بالشؤون التى تهتم لها .

ويجب على الآباء لهذا السبب أن يبذلوا مجهودا فى تعليم البنات أكبر مما يبذلون الآن، وإن استطاعوا فعليهم أن يساووهن بالبنين فى التعليم . ومن أعظم ما يحط المستوى الثقافى فى الزوجة أن تتزوج وهى فى سن صغيرة، لأن الفتاة تحتاج للنضج الثقافى الى أن تتعلم وتنمى ذهنها إما بالمدرسة وإما بالبيت الى أن تبلغ العشرين أو حتى أكثر من هذه السن . ولكنا تعودنا أن نزوج بناتنا وهن دون هذه السن . والزواج يشغلهن بكثير من الهموم التى تتعلق بتدبير المنزل أو بالأولاد عن النمو الثقافى . وقد نصحت إحدى المجلات العائلية الأمريكية بألا تقل سن الفتاة عن الثالثة والعشرين أو حواليها عند الزواج لكى تكون قد وجدت الفرصة الواسعة لتتثقف وهى فتاة، كما أنه يجب على كل زوج أن يساعد زوجته على بذل مجهود ورصد وقت معين كل يوم للرقى الثقافى .

صرامة التأديب :

ليس من شك فى أن الطفل يحتاج إلى التأديب من وقت لآخر . ومع أن مبادئ التربية الحديثة تنحو نحو الرأفة والحب والمجاملة مع الطفل فانها أيضا لا تنكر قيمة التأديب إذا مارسناه فى اعتدال ومع قلة بل ندرة . ويجب أن نذكر فى كل وقت نحتاج فيه إلى تأديب الطفل باللفظ أو اليد أننا قد فشلنا فى تربيته باللطف والكياسة .

والتأديب الصارم الذى يقارب الإرهاق أو الاضطهاد هو كارثة لا للطفل وحده بل للمجتمع كله . لأن الطفل الذى استقر عنده أن والده أو معلمه يضطهده ينشأ كارها للمجتمع ، يرى فى كل رجل أبا أو معلما ظالما . فأسلوب الحياة عنده هو أسلوب انتقام . وهو لا يستجيب للمجتمع بالتعاون أو الحب أو الخدمة بل بالانتقاض والثورة والكراهة . وهذه العقلية هى التى تؤدى الى الإجرام .

فليحذر الآباء والمعلمون الشدة مع الأطفال . وليعلموا أن العقاب هو برهان الافلاس عند المربى . فيجب ألا يلجأوا اليه إلا فى الحالات القصوى ومع الاعتدال بل مع المصالحة العاجلة والمعاجلة الرفيقة فى سائر الظروف ، حتى لا يستقر عند الطفل أن العنف هو أسلوب الحياة الذى يعمل به المجتمع وحتى لا ينشأ وهو يحس العداوة نحو هذا المجتمع .

فى طلب العمل :

المألوف بين الشبان الذين يطلبون عملا أن يتقدموا لصاحب العمل بطلب الوظيفة ويعينوا له مؤهلاتهم . وقليل منهم من يذكر اختباراته السابقة كأن الشهادات المدرسية هى كل شىء .

والحقيقة الواقعة أن صاحب العمل قلما يلتفت إلى الشهادات ، لأنه يعدها شهادات مدرسية تدل على كفاءة فى النظريات ولا تدل على اختبارات عملية .

وأفضل ما يتقدم به الشاب لصاحب العمل أن يقترح عليه توسعا جديدا أو يفتح له بابا آخر لتنمية عمله . وذلك بأن يدرس الشاب هذا العمل الذى يقصد إلى الاشتراك فيه ثم يقترح على صاحبه اقتراحات تزيد فى ربحه أو تكبر عمله ويبين له أنه هو وحده القادر على هذا التكبير أو هذه التنمية . ففى مثل هذه الحال يضطر صاحب العمل الى التفكير ، ويدفعه طموحه إلى تجربة هذا الموظف الجديد .

التربية فى الولايات المتحدة :

أصدرت حكومة الولايات المتحدة كتيبا عن المجهود الذى تقوم به فى التربية العامة . وقد ذكرت فى إحدى صفحاته أغراض التربيـة تحت عنوان : " أهداف التربية فى الديمقراطية " كما يلى :

صيانة وترقية التراث الثقافى .

زيادة ونشر المعارف .

الذكاء المدنى والتبعة الاجتماعية .

ترقية القيم الاخلاقية والروحية .

المساواة فى الفرصة .

صيانة الموارد الوطنية .

التعاون والطمأنينة الاقتصاديان .

السلام والتفاهم بين الدول .

الصحة والسلامة الجسمية .

الكفاءة الحرفية .

أهلية الفرد لأن يكون عضوا فى الأسرة .

حسن استخدام أوقات الفراغ .

التقتير يؤدى الى التبذير :

الآباء صنفان : أحدهما لا يبالى ما ينفق الأطفال ولا يأبى عليهم القروش بلا حساب. والصنف الآخر يقتر وينكر على الأطفال المليمات أو ما إليها من فئات النقود لكى يرفهوا بها عن أنفسهم .

وكلا الصنفين مخطئ . لأن الطفل يجب أن يعلم الاقتصاد. فلا تبذير ولا تقتير . ولكن اذا جاز لنا أن نفاضل بين الخطأين فاننا نقول إن التقتير يضر الطفل أكثر من التبـذير . وخاصة عنـد ما يجد هذا الطفل أبناء الجيران أو الزملاء فى المدرسة ينفقون ويحلون النقود فى جيوبهم . فان هـذا الحرمان يحدث فى نفسه كبتا يثير الغيظ والحسد أو الذلل والتملق . وكثير من فساد الصبيان فى هذه السن يعزى الى إغرائهم بالنقود التى حرمهم أهلهم منها .

والتبذير مضر أيضا ولكنه — كبعض الأمراض — يعالج نفسه ويعتم من عدوى أخرى . لأن الطفل المبذر الذى يسأل عن النقود فيجدها سيعرف بعد قليل من الزمن أن هناك حدا للطلب يجب أن يقف عنده . وأن الاسراع فى شراء الأشياء أو المسليات سينتهى بالحرمان . وعندئذ يضطر الى المفاضلة والتمييز بين الأشياء أو المسليات التى يشترى .

ومن الحسن أن نبعث الشعور بالتبعات فى الأطفال ، بأن نعين لهم مصروفا يوميا أو أسبوعيا أو شهريا بحسب أعمارهم. فالصغير يعطى المصروف اليومى ، والمتوسط يعطى المصروف الأسبوعى ويعطى الكبير المصروف الشهرى . وكثير من الأمهات يهتم بالادخار وتعويد أطفالهن هذه العادة قبل أن يبلغوا السن التى يقدرون فيها قيمة الادخار . لأن الادخار يعنى الاهتمام بالشهر القادم أو العام القادم وتوقع زيادة الحاجات أو قلة المصروف أو نحو ذلك من الطوارئ . والطفل أو حتى الصبى الذى لا يزال دون العاشرة يشق عليه أن يصور لذهنه هذا المستقبل بصعوباته القادمة . ولذلك لا يمكنه أن يدرك قيمة الادخار .

والتصرف الحسن بالنقود عامة يمكن غرسه بالرفق والتنوير ، ولا يكون هذا أبدا بالحرمان لأن الاقتصاد — وهو هنا التصرف الحسن بالنقود — لا يمكن أن يكون مع الحرمان من هذه النقود ، كما يجب ألا ننسى أن الحرمان يؤدى الى الانفجار ، وهل منا من يجهل أولئك الورثة الذى حرمهم آباؤهم مدة حياتهم فلم يتعلموا طرق الإنفاق القويمة وبددوا تراثهم فى بضعة أشهر أو بضع سنوات ؟

ولو أن هؤلاء كانوا قد تعلموا التصرف الحسن بالنقود والترفيه المعقول على أنفسهم تحت إرشاد آبائهم لاستطاعوا عقب وفاة آبائهم أن يحسنوا الإنفاق ، ويعتدلوا فى شراء مشتهياتهم ، لأن شرههم هو ثمرة الحرمان السابق ، فهنا نرى أن التقتير يؤدى الى التبذير .

التمييز بين الأطفال :

لا يسع الآباء إلا أن يؤثروا فى قلوبهم بعض أطفالهم على البعض . فان الأم قد تشغف بإحدى بناتها ولا تستطيع انكار ذلك عن سائر أخواتها . وكثير من الأمهات المصريات يؤثرن الابن على البنت ، ولا يستطيع الانسان أن يغير شعوره ، فاننا نحب ونكره لعشرات من الأسباب المختلفة . فقد نحب بعض ابنائنا لأنه أجمل من اخوته أو أذكى ، او لانه ابن وحيد بين بنات ، أو بنت وحيدة بين أبناء أو لغير ذلك من الأسباب .

ولكن ما نلام عليه ويجب أن نعالجه بالعناية والدقة هو إظهار العواطف التى تكشف عن قلوبنا أمام الاطفال بحيث نؤثر أحدهم على الاخرين بزيادة فى المصروف او اللباس

أو الطعام . فان هـذا العمل يثير بين الإخوة المحرومين حسدا يبقى مدى الحياة و يغرس حقدا يجعل الإخوة يتناكرون و يتباغضون .

فاذا كان من الشاق علينا أن نسوّى فى الحب بين الأبنـاء فليس من الشاق أن نسوى بينهم فى المعاملة حتى لا يشعر واحد منهم أنه مظلوم من أبويه وأن له أخا أو أختا قد فضلت عليـه فى متعة ما . بل إن هذا المفضل على إخوته سوف يضره ما وجده من تفضيل، لأنه يتعود التدليل و يحب أن يجد نفسه على الدوام مفضلا . وما رآه من معاملة ممتازة من أبويه ينتظر أن يجد مثلها من المجتمع . وهو يشقى عندما لا يجدها .

فليكن شعار الاباء : المساواة بين جميع الأبناء .

العمل المستقل والوظيفة :

يتكسب الشاب بطريقتين : فإما أنه يعمل مستقلا فى تجارة أو صناعة هو المسئول عنها ليس عليه رئيس، ومقدار كسبه عندئذ يتوقف على ذكائه وجهده و يزيد أو ينقص من عام لآخر . و إما أنه يعمل فى وظيفة حكومية أو حرة لا يتحمل فيها مسئولية كبيرة، لأن عليه رئيسا بل رؤساء وهو مطمئن إلى مرتب يناله آخر الشهر .

فما هو الأثر الذى تتركه الحال المـالية أو أسلوب الكسب فى كل من هذين الشخصين؟

يبدو من الملاحظة أن الموظف مطمئن وهذا الاطمئنان قد يؤدى إلى التراخى . فهو لا يبذل مجهودا للرقى الشخصى أو للبحث عن أبواب أخرى للتكسب . فى حين أن القلق الذى يحسه ذلك الشاب الآخر الذى يعمل مستقلا يبعث فيه جدا ونطلعا . لأنه يخشى إن هو أهمل أن يقل كسبه . فهو يتحسس الميادين الجديدة للعمل وينبعث فى نفسه روح الإقدام . وهو يدرس هذا الموضوع الجديد أو ذلك الاصلاح لعمل قديم . وهو دائب النظر فى نفسه يصلح شخصـه و يرقى أخلاقه و يعالج خصوماته أو صـعوباته بالرفق والحيلة لا بالعنف أو البطش . فاذا مضت السنون رأينا ثمرة هذا الاتجاه فى رجل اجتماعى يحرص على الوقت والسداد ، و يتحمل التبعات فى استعداد وتبصر وتقدير للمستقبل . أما الموظف الذى يطمئن كل الاطمئنان إلى مرتبه فلا تنمو فيه هذه الأخلاق . ولذلك يجب أن نقول إن قليلا من القلق يؤدى إلى الرقى .

السعادة الزوجية

وهل يمكن التكهن بها قبل الزواج ؟

قام الدكتور بورجس والدكتور كوتريل وهما من أساتذة الجامعات فى الولايات المتحدة بأبحاث تناولت حالة عدد كبير من المتزوجين وقت عقد الزواج وقبله لكى يعرفا العوامل التى تهيئ من الرجل أو الفتاة زوجا صالحا وتجعل الزواج سعيدا ، وقد وضعا مئات الأسئلة حتى التى قد يبدو بعضها سخيفا لكى يصلا إلى معرفة أقصى ما يمكن من القواعد والاحتمالات والفروض التى يظن أنها تساعد أو لا تساعد على السعادة الزوجية ، وقد تلقيا على هذه الأسئلة ٥٢٦ إجابة من الأزواج ، ونشرا نتائج بحثهما فى كتاب يدعى " التكهن بالنجاح أو الخيبة فى الزواج "

ومع أن اختلاف البيئة والعادات والأخلاق بيننا و بين الأمريكيين ليس صغيرا فإننا نظن أن القارئ ينتفع بما وصل إليه المؤلفان من استنتاجات ، وهما يقولان إن البحث قد أدى إلى النتيجة التالية :

٤٢,٦ فى المائة من الأزواج يعد سعيدا جدا .

٢١,٥ « « « « « « إلى حد ما .

١٤,٤ « « « « « « متوسطا .

١٣,٥ « « « « « « غير سعيد .

٨,٠ فى المائة من الأزواج يعد تعسا .

ومعنى هذا أن أكثر من نصف المتزوجين يعدون أنفسهم سعداء ، ونحو الخمس يعدون أنفسهم غير سعداء ، فما هى العوامل أو الظروف أو العادات التى تهيئ للنجاح أو الخيبة فى الزواج ، لقد سأل المؤلفان هؤلاء الأزواج عن أحوالهم قبل الزواج فكانت الاستنتاجات التى استنتجاها من الإجابات كما يلى :

(١) ان التوفيق فى الزواج يكون أرجح فى تحقيقه عند ما يتزوج الانسان فتاة من عائلة تشبه عائلته فى الطبقة والبيئة وفى أسلوب المعيشة .

(٢) المشابهة فى الطابع التفاق ترجح السعادة ، والاختلاف فى هذا الطابع يرجح الخيبة .

(٣) الاقامة قبل الزواج فى الريف ترجح التوفيق فى الزواج ، أما الإقامة قبل الزواج فى المدينة فلا تساعد على هذا التوفيق .

(٤) من المرجح أن يسعد الزوجان بالزواج إذا كان أبواهما قد سعدا به .

(٥) إذا كان الشاب أو الفتاة يحب كل منهما أسرته فإن هذا الحب يرجح السعادة الزوجية .

(٦) يرجح التوفيق فى الزواج عند ما يكون الزوج " أو الزوجة " عضوا بين أربعة أخوة.

(٧) الصحة الحسنة — وخاصة فى الزوج — تزيد السعادة .

(٨) كلما ازداد الرقى الثقافى بعد الزواج ازداد مقدار السعادة .

(٩) كلما زاد عمر المتزوجين وقت الزواج كان هذا أدعى إلى تحقيق السعادة .

(١٠) سكنى المدينة الصغيرة أدعى إلى التوفيق من سكنى المدينة الكبيرة .

(١١) كثرة الدخل ليس لها قيمة كبيرة فى السعادة الزوجية بمقدار انتظام هذا الدخل واطراده .

(١٢) الفتاة التى احترفت حرفة ما قبل الزواج تكون أدعى إلى السعادة من تلك التى لم تحترف ، ولكن الفتاة التى تقلبت فى الحرف المختلفة لن يسعد بها الزواج .

(١٣) الزواج القائم على التعقل وحسن الاختيار خير من زواج الفتنة والغرام .

(١٤) الاختلاف المعقول فى العمر سواء بالزيادة فى عمر الزوج أو الزوجة لا قيمة له فى النجاح أو الخيبة فى الزواج .

(١٥) من العلامات الحسنة التى تدل على توفيق فى الزواج أن يرغب المقدمون عليه فى الأولاد .

المخدّرات فى مصر

فى عام ١٩٣٩

صدر تقرير مكافحة المخدّرات لصاحب السعادة رسل باشا حكمدار العاصمة . ونرى أن ننقل منه الفقرات التالية على سبيل التلخيص والإيجاز لما جاء فيه من معارف وآراء :

* * *

من إحصائية مصلحة السجون يتضح أن عدد متجرى المواد المخدّرة المسجونين فى السجون المصرية لغاية أول أكتوبر سنة ١٩٣٩ قد زاد عما كان عليه فى أول أكتوبر من السنة الماضية ٧٥٤ متجرا . وكذلك قد زاد عدد المدمنين عما كان عليه ٥٢ مدمنا . أى أن مجموع الزيادة الكلى فى هاتين السنتين بلغ ٨٠٦ مسجونين محكوما عليهم بمقتضى قانون المواد المخدّرة .

ومعنى هذا أنه بعد أن استمرت الأمور تجرى فى تحسن مطرد لغاية سنة ١٩٣٧ إذ بها ترجع الآن القهقرى بحيث بلغ المجموع الكلى لأولئك المسجونين قدر ما كانوا عليه سنة ١٩٣٤

* * *

فى الخطاب الذى ألقيته فى هذا العام بجامعة الأمم بجنيف قدشكرت ، بالنيابة عن الحكومة المصرية ، السلطات الفرنسية فى سوريا شكرا جزيلا لما بذلته من جهود مستمرة قيمة مكللة بالنجاح التام فى منع زراعة الحشيش غير المشروعة بلبنان .

وما كان أشد الصدمة حينئذ بعند ما وصل إلىّ فى شهر يونيه من تلك السنة تلغراف بالشفرة مطوّل يفيد أن السلطات ذات الشأن فى سوريا قد عادت فاكتشفت من جديد مساحات شاسعة جدا مزروعة حشيشا فى تلك الجهات .

قد يكون الخبر الذى أبرقه الىّ فى أول الأمر جناب المسيو كولمباني مدير ادارة الأمن العام بسوريا بمثابة الجواب على سؤالنا هـذا : إذ يقول فيه جنابه إنه فى يوم ٢٨ يونيه سنة ١٩٣٩ على رأس قوة مكونة من بعض جنود البوليس وبعض جنود الجيش قد اكتشف فيما يجاور قرية "لبوة" خمس هكتارات (أى ما تبلغ مساحته ٥٠,٠٠٠ متر مربع) مزروعة حشيشا وأن التحقيق الذى قام به قد أثبت أن هـذا الحشيش المزروع هو ملك لوزير من وزراء الدولة هناك .

ثم أعقب هذا الاكتشاف ضبط ١٧ كيسا بداخلها مسحوق حشيش زنته ٢٧٠ كيلوجراما فى يوم ١١ يوليه سنة ١٩٣٩ بمنزل شخص يمت الى ذلك الوزير بصلة القرابة من العصب .

ولم يلبث الحال أن انكشف وبدا الأمر واضحا جليا للعيان . ذلك أن كثيرين من الطبقات الحاكمة فى لبنان قد تحدوا سلطات الانتداب الفرنسى وتجاسروا على زرع مناطق شاسعة بالحشيش وكان من الطبيعى حينئذ أن يحتذى صغار الملاك حذو رجال الطبقات الحاكمة أولئك فزرع أغلبهم أراضيهم بالحشيش أيضا ظنا منهم والحالة هذه أن لا جريمة عليهم فى ذلك وأنهم فى حصانة من العقاب .

وما أن ذاع خبر اكتشاف زراعات الحشيش هـذه حتى أخذت الصحف فى سوريا تتطاحن فى حرب شعواء استمرت بينها أسابيع . فبعضها كان ينتصر لزراعة الحشيش والبعض الآخر كان يستهجن هذه الزراعة ، ولا أرى أفضل من اقتباس ما جاء بصحيفة " صوت الأحرار" السورية الصادرة بتاريخ ١٨ يوليه سنة ١٩٣٩ من قبيل تحين الفرص لمحض التهكم على الآخرين إذ قالت :

"أما اختراق قانون عصبة الأمم ، فلست أدرى إذا كان جريمة ، بعد أن اخترقت كل قوانينها دول أوربية تسبقنا أشواطا — على الأقل فى رأى أوربا — فى ميادين الحضارة والرقى ، وأما الكيد للإنسانية فلا أعرف إذا ما كان جريمة فى بلد ضعيف هزيل يؤثر أن يموت الغريب موتا بطيئا "وعلى الكيف" بالحشيش على أن يموت جوعا . لاسيما بعد أن رأينا ونرى كيف تسام الإنسانية ، وكيف يطعنها كثير من الأقوياء والمتمدنين طعنات لاهوادة فيها ولا رحمة ، وإن قتل حرية شعب من الشعوب لأعظم — والله أعلم — من تصدير الحشيش إلى محششين يحصلون عليه من غيرنا بأية طريقة كانت " .

فمن هذا يعلم لنا مقدار ما كان ينزل من الرزايا والبلايا بالبلاد المصرية لو كان زراع الحشيش اللبنانيين هؤلاء قد تركوا وشأنهم .

وفى النهاية ألخص رأيى عن الموقف كما يتراءى لى الآن فيما يلى :

إن الأخطار الأربعة العظمى التى تهددنا هى :

١ — الرغبة فى المواد المخدرة :

إن الرغبة الكامنة فى النفوس فى مصر للمواد المخدرة ليست بشىء يمكن القضاء عليه بالتمائم والتعاويذ ، بل إنها ستبقى كامنة وتنمو سريعا وتزداد شدة طالما بقيت حالة الطبقات العامة من السكان على ما هى عليه الآن من سوء شؤونهم المعيشية اقتصاديا وصحيا .

٢ — الحرب العالمية الكبرى :

إن الحرب العالمية الماضية هى التى كانت سببا فى غزو مصر بالمواد المخدرة البيضاء وقد صرفنا معظم العشر السنوات الماضية لإصلاح ما قد جرته على مصر من رزايا و بلايا المخدرات.

ويجب أن نضع نصب أعيننا أنه فى الحرب الحاضرة التى لم تكد تبتدئ بعد سينطلع — بفرط السرور — كل متجر من متجرى المواد المخدرة فى العالم أجمع إلى جنى الربح بدرجة أعظم بكثير من ذى قبل من وراء تجارته .

٣ — الشرق الأقصى :

لا شك فى أن كميات هائلة جدا من المواد المخدرة البيضاء جار استخراجها فى الشرق الأقصى باستمرار دون وقفها عند حد. ومن المحتمل أن تزداد تلك الكميات ضخامة على ضخامتها إذا ما حمى وطيس المذبحة البشرية بين الدول الكبرى المشتبكة فى الحرب الآن .

وعندئذ ينفسح المجال لمتجرى المواد المخدرة للاتحاد جماعات بعضهم مع بعض اتحادا وثيقا فى شن الحرب أيضا على العالم بذخائرهم الفتاكة بالأنفس .

العادات الموصلة الى النجاح ، وهل تمتاز بها ؟

لكل إنسان أسلوبه فى الحياة . أى مجموع عاداته وميوله واستجاباته وآرائه وعقائده . وهذا الأسلوب الذى يتكوّن أكثره من الطفولة لا يزال خاضعا للتنقيح والتعديل مدى الحياة لدرجة ما . وهـذا الأسلوب يقرّر النجاح أو الخيبة أو التفوق أو التخلف من حيث ملاءمته للمجتمع أو غير ذلك ؛ وفيما يلى بعض الأسـئلة التى تدلك على اتجاهاتك وهل هى تؤدّى إلى النجاح أو إلى الخيبة . وعلى قدر إجابتك بنعم تكون ناجحا ، وعلى قدر إجابتك بلا تكون على العكس . ومجموع الأسئلة ثلاثون . فاذا أجبت بنعم عن ١٥ سؤالا فانت متوسط النجاح وإذا أجبت بأكثر أو أقل فانت تتجه نحو النجاح أو ضده . وأمام كل سؤال الاجابة التى يمكنك أن تحوطها بدائرة . ثم تعد الدوائر فى النهاية :

(١) هل يسرك أن تخالف العرف وتبتدع طرقا جديدة ؟ ... ... نعم لا

(٢) هل تعدّ نفسك جسورا ؟ ... ... » »

(٣) هل يستشيرك الناس فى أمورهم ؟ ... ... » »

(٤) هل تصارح الناس بآرائك حين تجد أنهم يستغلون طيب عنصرك ؟ » »

(٥) هل تثق بنفسك وبتفكيرك ؟ ... ... » »

(٦) هل تستطيع الاعتماد على نفسك ؟ ... ... » »

(٧) هل يحدث غالبا أنك تنظم جماعة ما للقيام بعمل رياضى أو ثقافى أو للتسلية » »

(٨) هل تحب المساومة مع البائع ... ... » »

(٩) هل تجادل رئيسك عندما ينتقدك مع أنك تشعر أنك محق ؟ ... ... » »

(١٠) هل ترفض ما يعرضه عليك البائع بالضغط والإلحاح ووسائل الاغراء؟ » »

(١١) هل تزداد قوة وعزيمة عندما ينتقدك خصومك أم تخضع وتخذل؟ » »

(١٢) هل تطوعت لجمع التبرعات المالية لبعض المحتاجين فى الحى الذى تعيش فيه ؟ ... ... نعم لا

(١٣) هل تسمع من الناس مديحك بقولهم إنك تحسن الحديث ... ... « «

(١٤) هل تذود عن حقوقك ؟ ... ... « «

(١٥) هل استطعت مرة ما إغراء غيرك للقيام بعمل ما ؟ ... ... « «

(١٦) هل تشكو حين يسىء اليك أحد فى المعاملة ؟ ... ... « «

(١٧) هل تنتهى إلى قرار عن العمل الذى ستتخذ قبل أن يحين ميعاد هذا العمل ؟ ... ... « «

(١٨) هل لك كثير من الأصدقاء ؟ ... ... « «

(١٩) هل تشعر أنك تساوى زملاءك فى العمل الذى تمارس أو تفضلهم ؟ « «

(٢٠) هل تحسن الخطابة ؟ ... ... « «

(٢١) هل ترضى أن تقوم بعمل جديد ولو كان به خصومة اخوانك لك ؟ « «

(٢٢) عند ما تشترك فى عمل جماعى وتجد انه ليس ناجحا هل تتقدم باقتراح للإصلاح والتنقيح ؟ ... ... « «

(٢٣) هل يسهل عليك اقتراح الآراء فى الاجتماعيات ؟ ... ... « «

(٢٤) هل تحاول أن تعمل أكثر مما أنت تكلف حين تشترك مع آخرين فى عمل ما ؟ ... ... « «

(٢٥) هل تشترك بنشاط فى المجتمعات ؟ ... ... « «

(٢٦) هل يسهل عليك التخلص من البائع الجوال أو الزائر ؟ ... ... « «

(٢٧) هل تأخذ على عاتقك عند ما تكون فى اجتماع ما ايجاد صلة التعارف بين الأغراب ؟ ... ... « «

(٢٨) هل معظم ما تنتهى اليه من قرارات تصل اليه بنفسك ؟ ... ... « «

(٢٩) هل يسهل عليك الحديث مع الأغراب ؟ ... ... « «

(٣٠) هل تفكر دائما فى مقابلة كبار الأشخاص فى الصناعة التى تمارس ؟ « «

الجمعيات التعاونية

تاريخ نشأتها وتطورها مع الزمن

غريزة التعاون قديمة تأصلت فى الانسان منذ عصوره الأولى، وقد دلت الأبحاث التاريخية على أنه أحس الرغبة فى التعاون منذ أن درج على وجه الأرض، دفعته الى ذلك رغبته فى إيجاد من يساعده على إعداد ما كله ومسكنه ثم الدفاع عن نفسه ، فلما تقدم به الزمن ، وبدأ يخطو نحو الحضارة شيئا فشيئا ، أخذت الدوافع تكثر شيئا فشيئا تبعا لازدياد حاجاته ومطالبه .

ومما يدل على قدم هذه الغريزة وتأصلها فى الإنسان ما عرف عن قيام الشركات التعاونية عند قدماء المصريين والكلدانيين وأهل بابل وأشور ، وهى أمم يرجع تاريخها الى آلاف السنين . وقد جاء ذكر الجمعيات التعاونية فى قول الملك " رمسيس الثالث " الذى عثر عليه الأستاذ " ريفليو " فى أوراق البردى وترجمه الى العربية الدكتور يحيى أحمد الدردير ى . قال الملك :

" كنت أعول الضعفاء والمساكين بوساطة حوانيت أى شركات التعاون ، وجعلت الرخاء يعم الناس جميعا .وكان الرخاء الى هذا الحين منهوك الحال.وكانت الأرض (فى عهدى) ملأى بالخيرات من المزروعات وغيرها.تحت حكمى عملت الخير ابتغاء وجه الله ومصلحة الأمة لا أريد على ذلك من أحد جزاء ولا شكورا ، وعلى هذا السبيل قضيت حكمى " . .

وكان معنى التعاون الذى قامت به تلك الشركات — كما يتضح لنا من الفقرات السابقة — تقديم المساعدة اللازمة للمحتاجين،والإحسان للضعفاء . يقول الدكتور الدردير ى فى كتابه التعاون "فاذا تتبعنا ما عثر عليه وترجم من أوراق البردى وجدنا معنى التعاون فى كثير من أقوال الأفراد والزعماء، التعاون الذى أساسه بذل المعونة والاحسان للضعفاء، وحمايتهم من الأقوياء لتوطيد دعائم النظام والعدل من جهة،وتبادل المعونة والفائدة من سبيل اشتراك مجهودات العمال أنفسهم من جهة أخرى " . . غير أن هذا المعنى يختلف تماما عن معنى التعاون الحديث الذى تقوم به الجمعيات التعاونية المنتشرة فى كل قطر ، فذاك يذهب الى الإحسان والعطف ، وهذا يذهب الى وجوب اعتماد الفرد على نفسه فى محاولة إسعاد حاله.

ولكن مالنا نذهب بعيدا ، ونحاول التدليل على قدم غريزة التعاون وتأصلها فى الإنسان بما جاء فى أوراق البردى ، وبما عثر عليه علماء الاثار هنا وهناك وهذه الأديان السماوية بين أيدينا تجمع على أن التعاون فضيلة بل وسيلة الى سعادة البشر وتقدم الانسانية . لقد كان الإنسان يحس حاجته الى التعاون من تلقاء نفسه فيسعى اليه دون أن يفكر فيه ، ولم يكن خياله اذ ذاك يتسع لأكثر من الحصول على حاجاته الوقتية ، ولم يكن تفكيره يتسع لاكثر من البيئة الضيقة التى تحيط به ، فلما جاءت الأديان لخدمة الانسانية عامة ولتهذيب نفوس الافراد ورفع مستواهم ، وتحسين أحوالهم ، وإقامة صرح الحياة على أسس قوية وضح للإنسان أن الغريزة التى تدفعه الى الالتجاء الى غيره على قرب منه أو بعد عنه وتدفعه الى طلب العون كلما أزمته أزمة أو تقلت عليه كارثة ، أو رغب فى تنفيذ أمر من الأمور التى لا يمكنه القيام بها وحده — بينت له الأديان أن هذه الغريزة انما هى غريزة التعاون ، وأنها وسيلة الى ما يرجوه من خير ثم دعت الناس الى أن يتعاونوا لتخفيف أعبائهم ، وليكونوا أمة صالحة .

قال تعالى فى كتابه العزيز : " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " وليس قوله تعالى " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين " إلا دعوة منه جلت قدرته للتمسك بأهداب الوحدة ، وترغيبا فى التعاون حتى لا يصيب الفشل عباده ، وأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله " الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه " وقوله " خير الناس أنفعهم للناس "

ولم يكن التعاون قديما فى هذا المظهر الذى نراه عليه اليوم ، فقد كان الإنسان يلجأ اليه من أقرب الطرق وبأبسط الوسائل ، ولا يمكن أن تخرج الحالات التى كان الناس يتعاونون فيها عن حالات التعاون فى هذا الوقت ، فأما هذه الحالات فهى :

(١) تعاون الفرد مع الفرد

(٢) تعاون الفرد مع الجماعة

(٣) تعاون الجماعة مع الجماعة

غير أنه لم تكن هناك خطط تبين حدود هذا التعاون وأغراضه ونواحيه ، لأنه كان تعاونا غير مقصود ، بمعنى أن الناس جميعا كانوا يتعاونون من حيث لا يشعرون ، أو من غير أن يتعمدوا ذلك ، ولا يزال هذا التعاون موجودا حتى الآن ، بل لا يمكن ان تستغنى عنه البشرية مهما يكن الأمر . ولنضرب لذلك مثلا بسيطا برغيف الخبز ، فكم من الأيدى ساعدت على انجازه اذا تصورنا أنه كان زرعا ثم حبا ثم دقيقا ثم عجينة وقس على ذلك كل شىء فى متناول يد الانسان .

ولما كانت لهذا التعاون غير المقصود عيوب لاتزال تعرض العالم لكثير من ويلاتها، وتعرض الحياة الاقتصادية لكثير من المفاجآت فقد فكر رجال الاصلاح فى ايجاد نظام آخر من التعاون المنظم الذى لايقوم على استغلال فئة لفئة ، ويكون كفيلا بسد النقص وإصلاح العيوب .

واذا كان ذكر الشركات التعاونية قد جاء فى المخلفات القديمة فإن هذه المخلفات لم تذكر لنا شيئا عن خططها وأغراضها ، ولذلك لانستطيع أن نعطى فى هذا المقام بيانا واضحا أو نتحدث بشىء عنها وعن أعمالها .

اما تاريخ الجمعيات الحديثة أو بمعنى آخر الجمعيات التعاونية المنظمة المحددة أعمالها بقوانين وأنظمة فيرجع الى القرن السابع، وهو الوقت الذى بدأت فيه " الجمعيات الاختيارية " (Voluntary Associations) وقد ظهرت هذه الجمعيات فى انجلترا لأول مرة ، وكان الشعب الانجليزى أول الشعوب التى استفادت من وجودها أدبيا وماديا، وفى ذلك يقول "روبنسن" صاحب كتاب روح المشاركة (The Spirit of Association) "لانبالغ اذا نحن عزونا الفضل الأكبر فى سعادة الأمة الى ما قامت به الجمعيات الاختيارية التى انتشرت فى انجلترا منذ عهد الانجليز السكسونيين "

وبدأت هذه الجمعيات خدماتها فى شكل طوائف (Guilds) وقد انحصرت هذه الخدمات فى تقديم المساعدة لكل من هو فى حاجة اليها ، وفى تبادل المعونة بين الناس بما يعود عليهم بالخير والسعادة ، ولا شك فى أن الشعب الانجليزى قد استفاد خلال القرون الوسطى فائدة كبيرة من قيام الجمعيات الاختيارية بتنظيم وسائل الحياة وتسهيل سبل العيش. ولا شك فى أنه إلى هذه الجمعيات يرجع كثير من من الفضل فى اكتساب الانجليز تلك الاخلاق القوية التى طبعتهم بطابع خاص وميزتهم عن كثير من الشعوب .

يقول الدكتور ابراهيم بك رشاد " وعندى انهم، أى الانجليز تسيطروا على هذا العالم بقوة أخلاقهم أكثر من سيطرتهم بقوة عقولهم. واذا كانت هناك قوة واحدة تكونت بفضلها هذه الاخلاق الانجليزية فهى قوة الاشتراك الاختيارى التى بعثت منذ أمد بعيد فى قلوب الشعب روح التعاون لإعلاء شأنه بنفسه بعزيمة تزيل العقبات وتسهل الصعاب من غير أن تتدخل سلطة ما فى شئونه " .

ولم يكن طريق الجمعيات الاختيارية وما تبعها من طوائف معبدا سهلا فى المرحلة الأولى من تاريخ حياتها، ولكنه كان عرضة لكثير من التطورات المختلفة ، فقد مضت تلك الجمعيات والطوائف تشق طريقها بين القوة مرة ، والضعف والخمول مرة اخرى ، متأثرة

فى ذلك بما كان ينتاب الشعب نفسه من دوافع القوة والضعف . فلما كان منتصف القرن الثامن عشر أحست شعوب العالم الرغبة فى تقوية العزائم وشحذ الهمم ، وفكر الشعب الانجليزى فى البحث عن وسائل اخرى تساعده على تخفيف اعبائه ، وتمهد له السبيل الى حياة أرغد حالا من حياته الماضية . وكانت الجمعيات التعاونية (Co-operative Societies) إحدى هذه الوسائل التى لجأ اليها الشعب وخاصة بعد الانقلاب الصناعى والزراعى (The Industrial and Agrarian Revolution) ، فقد كان هذا الانقلاب التيار الجارف الذى غمر نوره أوربا كلها فى ذلك الوقت فبدل حالها وقلب اوضاعها وغير انظمتها ، وساعد على انتشار الافكار الحديثة والقضاء على الفوارق بين الطبقات .

وقد حدث بعد هذا الانقلاب الصناعى الزراعى الذى بدأ فى انجلترا " بلانكشير " أن أصيبت دول العالم ومنها انجلترا بأزمات اقتصادية شديدة زعزعت أركانه ، وهددت الأيدى العاملة بالشدة والعسر ، ولوحت لهم بشبح الجوع والفقر . وكانت هذه الأزمة الطاحنة نتيجة استخدام الآلات وادارتها بالبخار ، والاستعانة برءوس الأموال الكبيرة فى الصناعة والمواصلات . وأدت هذه الحركة على الرغم من توافر سبل العيش وازدياد موارد الثروة إلى نتائج وخيمة أهمها :

(١) الاستغناء عن كثير من الأيدى العاملة ، وقد هام أولئك الذين استغنى عنهم فى الشوارع جائعين يبحثون عن القوت فلا يجدونه .

(٢) تشغيل النساء والأطفال الحديث السن ، وقد أفضى ذلك إلى نتائج صحية وخلقية سيئة .

(٣) تخفيض أجور العمال إلى حد لم يكن يكفى للحصول على القوت الضرورى .

(٤) تحكم أصحاب العمل ، مما أدى بهم الى املاء شروط فيها الغنم لهم والغرم على العمال الذين كانوا يعاملون فوق ذلك بالقسوه والشدة .

وكان ما أحسه العمال والأجراء من هذه المحنة وهذا الضيق سببا دفعهم إلى التفكير فى مستقبلهم ، وباعثا حث المصلحين على البحث عن علاج لهذه المشكلة الاجتماعية الخطيرة التى وقع فيها أولئك المساكين .. وكان أول من فكر فى ذلك "روبرت اوين" (Robert Owen)

وكان يملك فى ذلك الوقت مغزلا كبيرا فى إحدى بلاد اسكتلندا اسمها نيولانارك (New Lanark) وقد وصل فى بحثه إلى تقرير أمور كثيرة منها :

(١) تقليل ساعات العمل .

(٢) منع تشغيل حديثى السن من إناث وذكور .

(٣) تعليم أطفال عماله مبادئ القراءة والكتابة والرياضة البدنية فى مكاتب ليلية فتحها خصيصا لهم .

(٤) إنشاء مساكن صحية .

(٥) توزيع الأطعمة الصحية على العمال بسعر الجملة معرضا عن الربح الذى يتناوله الوسيط (التاجر) .

كان " أوين " يرجو الخير للناس جميعا . يقول الدكتور ابراهيم بك رشاد : (ولم يقتصر " أوين " فى مجهوداته على من حوله بل فكر فى وضع نظام عام يعود بالخير على المجتمع الانسانى ، ورأى أن البيئة التى يعيش فيها الانسان من أهم المؤثرات فى تكوين مواهبه ، فإذا عمل المصلحون وأرباب الأموال والحكومة على تحسينها ومنع ذلك الضرب من التنافس الذى يخس الناس أشياءهم ، و إحلال حسن المعونة والمساعدة مكانه ، عاش الجميع عيشة هنيئة) .

" وللوصول الى تحقيق هـذا النظام أخذ هذا المفكر العمرانى والرجل العملى يعمل على إنشاء « جاليات » (Communities) زراعية صناعية تكون مصادر الثروة فيها من مزارع ومصانع وغيرها ملكا شائعا بين أفرادها ، وهذه الجالية تقوم بجميع حاجات أفرادها فتكفيهم جميع أمورهم المعاشية والتهذيبية " .

غير أن هذه الحركة لم تنل التقدير الواجب وانتهت بالفشل على أثر مهاجمة رجال الدين لها ، كما أن جميع الحركات التى قامت حتى ذلك الوقت وغرضها إصلاح حالة الطبقات الفقيرة قد صادفت كثيرا من الفشل ، وقابلها كثير من الصعاب . غير أن ما اعترض طريقها من محن ، وما أدى الى اضمحلالها ، كانا درسا للمصلحين الذين جاءوا فيما بعد ، وكانا الخطوة أو الخطوات الأولى لتكوين جمعيات تعاونية على أسس وقواعد ثابتة . . وقد ظهر فى فرنسا فى ذلك الوقت أو بعده بقليل الفيلسوف الاشتراكى " شارل فوريه " (Charles Fourier) فكان من أكبر دعاة التعاون فى الاستهلاك (التوريد والتوزيع) . ثم ظهر فى ألمانيا «فردريك رفيزن» (Frédrick Raiffeisen) و «شلس دلتش » (Schulze Delitzsch) وكانا من أكبر دعاة التعاون للاقتراض والتسليف .

كانت كل هذه الجهود محاولات وتجارب ، ثم كانت جمعية «روتشديل» التى قامت على أكتاف ثمانية وعشرين رائدا ، أولى الجمعيات الاستهلاكية المنظمة وعنها أخذت الجمعيات الأخرى وكانت المبادئ السبعة التى سارت عليها تلك الجمعية دستورا للجمعيات التعاونية فى جميع أنحاء العالم .

يقول الاستاذ عبد اللطيف عامر فى محاضرة ألقاها بمدرسة الخدمة الاجتماعية " كثر تأسيس الجمعيات التعاونية فى هذه الفترة ومنها ما كان يسمى « حوانيت الاتحاد » الا أن هذه المحاولات جميعها لم يتوفر لها النجاح الكافى الى أن كانت التجربة الخالدة فى بلدة روتشديل القريبة من مانشستر ، فكانت هذه الجمعية التعاونية الاستهلاكية الأولى يشار اليها على الدوام كلما ذكر التعاون وجمعياته ، أو استعرض تاريخ الحركة التعاونية ونظامها ، أو أشيد بمبادئ تلك الحركة وأثرها الاقتصادى والاجتماعى . وقد قامت هذه الجمعية فى سنة ١٨٤٤ فكانت الحجر الأول لهذا البناء التعاونى الضخم الذى نشاهده اليوم ونلمس آثاره الطيبة فى سائر انحاء العالم " ..

وتنقسم الجمعيات التعاونية الموجودة فى انحاء العالم الآن الى جمعيات زراعية ومنزلية وصناعية وغيرها ، ولكل منها ظروف خاصة ساعدت على تقدمها ونهوضها ، وادخال تحسينات فى نظامها ، ونرجو أن تتاح لنا الفرصة للحديث عن كل واحدة منها على حدة .

الجمعية التعاونية المنزلية المصرية بالاسكندرية

تحدثنا فى العدد السابق عن الاسكندرية التعاونية، وبينا كيف استطاعت هذه المدينة أن تضم الى عظمتها التاريخية القديمة ، والى شهرتها كميناء من أعظم موانى البحر الأبيض المتوسط — بينا كيف استطاعت أن تضيف إلى هذا كله شهرة جديدة فى عالم الاقتصاد والديمقراطية، وذلك بتأسيس الجمعيات التعاونية فى أرجائها المختلفة، وكيف استطاعت أن تكون رمز التعاون فى مصر كلها لا بكثرة عدد الجمعيات فقط ، ولكن بنجاح هذه الجمعيات وتعدد أنواعها . وتحدثنا كذلك عن بعض هذه الجمعيات ،وأوضحنا مقدار نجاحها،ومقدار ما أسدته وتسديه من خدمات مادية واجتماعية وثقافية ، ويسرنا أن نتحدث فى هذا العدد عن جمعية تعد من أكبر الجمعيات الناجحة وأكثرها حركة ونشاطا ، وغرضنا من ذلك أن نضع أمام أعين قراء هذه المجلة صورة واضحة عن الاسكندرية التعاونية وجمعياتها .

من أهم جمعيات الاسكندرية وأكبرها "الجمعية التعاونية المنزلية المصرية" وقد تأسست عام ١٩١٠ على أثر الدعوة التى قام بها المرحوم " عمر بك لطفى " زعيم الحركة التعاونية فى مصر. وكانت الجمعية تحمل من ذلك الوقت حتى العام الماضى اسم " شركة التعاون المنزلى لموظفى الحكومة " . وجاء فى المادة الثانية من قانونها الأساسى : " الشركة هى شركة تعاون ، وموضوعها المعاونة والتوفير بشراء لوازم الأعضاء من أصناف البضائع الخاصة بالمأكل والملبس بالأثمان المناسبة ويبدأ بالمأكولات"

" يجوز للشركة استغلال أموالها فى غير المأكل والملبس من لوازم الأعضاء " .

ومما يلفت النظر أن الجمعية تأسست فى وقت لم يكن فيه للتعاون فى مصر قانون يحميه، ونظام تسير على ضوئه الجمعيات المختلفة، ولذلك صارت هذه الجمعية على هدى اجتهاد رجالها العاملين . وحسبها أن تكون أول جمعية تعاونية فى مصر ، وأن تكون أول جمعية فكرت فى وضع نظام تعاونى فى غاياته ومراميه . يكفى هذا لتكون الجمعية عزيزة علينا ، جديرة بالتقدير والإعجاب .

وإذا كانت جمعية " روتشديل " فى انجلترا ثمرة لكل مابذل من جهود فى سبيل رفع مستوى الحياة بين الطبقات الفقيرة والمتوسطة عن طريق التعاون . وإذا كانت نظاما استمد روحه من تعاليم المصلحين الاجتماعيين الذين جاهدوا السنين الطوال فى نشر المبادئ التعاونية

وتطبيقها على ما أنشأوه من جمعيات فان الجمعية التعاونية المنزلية المصرية بالاسكندرية ممرة لتلك الدعوة التى قام بها المرحوم " عمر بك لطفى " ونتيجة لجهاده ونضاله . ولن نكون مبالغين إذا نحن شبهنا مايحمله التعاونيون المصريون فى قلوبهم لهذه الجمعية من إعزاز وتقدير بما يحمله التعاونيون الانجليز بل التعاونيون فى العالم كله لجمعية " روتشديل " .

* * *

قلنا إن الجمعية أنشئت فى وقت لم يكن فيه للتعاون قانون ، وقلنا إنها نجحت مع ذلك نجاحا لفت الأنظار ، و بشر بمستقبل زاهر . فلما صدر قانون التعاون المعدل عام ١٩٢٧ ، وهو أول قانون شملت نصوصه الجمعيات التعاونية المنزلية أصبحت هذه الجمعية محط أنظار القائمين بأمر " مصلحة التعاون " ، وقد دفعتهم رغبتهم فى اكتسابها للحركة التعاونية إلى ضمها إليهم للمحافظة على هذا التراث العزيز بما كفله قانون التعاون لجمعياته من حقوق وامتيازات .

حاول القائمون بأمر مصلحة التعاون ضم الجمعية إليهم غير أنهم لم يوفقوا فيما حاولوه ، فقد حالت بعض العوامل — التى يضيق المقام عن ذكرها — دون تحقيق هذه الرغبة التى كانت أملهم منذ عام ١٩٢٧ ، وحدث فى النصف الثانى من عام ١٩٣٩ أن تهيأت الفرصة لتحقيق ما كانت تصبو إليه نفوس التعاونيين ، وذلك بحسن استعداد مجلس إدارة الجمعية وخاصة ذلك المجهود العظيم الذى بذله حضرة صاحب العزة حسين بك فهمى المدير العام لمصلحة الجمارك .

وقد اجتمعت الجمعية العمومية فى ١٠ نوفمبر من عام ١٩٣٩ وقررت أن تخضع لأحكام القانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٧ ، كما وافقت على تنقيح نظامها الداخلى . وقدمت الجمعية لمصلحة التعاون عقد تأسيسها والنظام الداخلى المعدل . وجاء بالتقرير المقدم من مجلس الادارة إلى حضرات أعضاء الجمعية العمومية تحت تسجيل الشركة بمصلحة التعاون ما يأتى :

" وتمشيا مع الرغبة التى أبدتها الجمعية العمومية فى جلستها المنعقدة فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣٩ قد حقق مجلس الادارة فكرة تسجيل الشركة بمصلحة التعاون بوزارة الشئون الاجتماعية ، فصدر قرار وزارى بتاريخ ١٦ ديسمبر سنة ١٩٣٩ بتسميتها " الجمعية التعاونية المنزلية المصرية بالاسكندرية " وفقا للمادة ١٠٩ من قانون التعاون رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٧ دون الاخلال بالتعهدات والعقود المبرمة بينها و بين الغير من يوم تأسيسها بتاريخ ١٩١٠.

" وقد تم هذا التسجيل تحت رقم ٨١٣ بتاريخ ١٨ ديسمبر سنة ١٩٣٩

" وهذا التسجيل يتطلب أن تنتخب الجمعية العمومية لمدة سنة واحدة " لجنة مراقبة " مكونة من ثلاثة أعضاء " .

* * *

وقد قامت الجمعية بعملها خلال الأعوام الماضية كلها خير قيام ، ونجحت نجاحا كان مضرب المثل ، وعنوان فخار للمصرى فى وسط تجارى يتحكم فى سوقه كثير من الموانين ، ودليل نجاح الجمعية ما أنشأته من محال مختلفة منها ماهو خاص بالبقالة ، ومنها ماهو خاص بالملبوسات والمفروشات . وقد استطاعت هذه المحال أن تؤدى للأعضاء أجل الخدمات ، واقتضت كثرة الإقبال عليها وازدياد حركة البيع شراء سيارة لتوصيل الطلبات إلى المنازل ، وإنشاء إدارة من عدد من الموظفين للإشراف على أعمال الجمعية وحساباتها .

ويحسن بنا أن ندلل على مقدار نجاح الجمعية بالأرقام الآتية :

حركة مبيعات الفروع

الفرع	سنة ١٩٣٧	سنة ١٩٣٨	سنة ١٩٣٩
فرع الاسكندرية	٣١٠٩٧	٣٤٥٦٩	٣٨١٣٦
فرع القاهرة	١٤٨٩٥	١٣٧٩٤	١٣٤٧٠
فرع دمنهور	٦٦٤١	٦٨٩٦	٧٠٩
	٥٢٦٣٣	٥٥٢٥٩	٥٨٦٣٥

* * *

وبلغ عدد أعضاء الجمعية فى العام الماضى ٢٤٧٥ عضوا بزيادة ١٠ أعضاء على عددهم عام ١٩٣٨ ؛ وبلغ ربح الجمعية حتى ٣١ يناير من هذا العام ٢٧٠٩ جنيهات بزيادة ٢٥٦ جنيها عن ربح العام الذى قبله ، وبلغ الربح الذى خص الحصة الواحدة ١٧ مليما فى مقابل ١٢ مليما فى سنة ١٩٣٨ ، وبلغ ربح الاستجرار (العائد) ٣٠ مليما بينما كان فى العام الماضى ١٨ مليما فقط .

والجمعية جادة فى البحث عن مكان جديد يكون أكثر ملاءمة من حيث المركز التجارى لأن موقعها الحالى بشارع « موزللى » لا يساعد كثيرا على انتشار حركة البيع وزيادة التوزيع .

هذا ونرجو للجمعية استمرار التقدم والنجاح فى ظل المبادئ التعاونية الصحيحة .

أسئلة وأجوبة

الغيرة وحدودها

(الاسكندرية — ك ج) لى زوج يتهمنى بالغيرة لأنى ألفت نظره من وقت لآخر إلى سلوكه نحو غيرى من النساء ، ولست أنكر أنى أحس الغيرة من هذا السلوك . فهل أنا محقة فى هذا الإحساس أم لا ؟

المجلة — تذكرى أن زوجك اختارك زوجة له ، لأنه آثرك على من رأى غيرك من النساء ، وفى هذه الحقيقة وحدها ما يجعلك مسئولة إلى حد ما عن إهمالك فى الاحتفاظ بالتفاته والاستئثار بقلبه ، فلعلك أهملت وسائل الاغراء التى كنت تستعملينها وأنت فتاة مخطوبة ، فإذا كان الأمر كذلك فلا تتحدثى معه عن سلوكه بل تجاهليه ثم اعمدى إلى نفسك فالبسى أحسن ملابسك وتزيني بأجمل زينتك ، ولا تبدى له مباذلك التى تمتهنين بها فى شؤون المنزل ، وتذكرى أن إحدى المؤلفات الانجليزيات تنصح للزوجة ، لكى تحتفظ بحب زوجها ، ألا تغير ملابسها أمامه حتى لا يرى فى جسمها نقصا أو عيبا يصده عنها ، واذكرى أن هذا الزوج لا يرى أولئك النسوة اللاتى يعجب بهن إلا وهن فى أحسن زينتهن ، ولعله يقارنهن ، وهن فى هذه الحال ، بك وأنت فى مباذل المطبخ ، فعالجى زينتك .

أطعمة الأسرة

(ميت غمر — ف . ج) نحن أسرة فقيرة من الطبقة المتوسطة ، لنا خمسة صبيان كلهم دون العاشرة ، فكيف نوفر لهم ولنا الطعام الرخيص الذى لا يرهقنا ولا يضر صحتنا ؟

المجلة — اللحوم هى أغلى الأطعمة و يمكن الاستغناء عنها بحبوب القطانى مثل الفول والعدس واللوبيا أى تلك الحبوب التى تنفلق حبتها فلقتين . فيجب توفير هذه الحبوب والتفنن فى طبخها بدلا من اللحم . ثم يجب توفير اللبن والبيض للأطفال . وعندنا كثير من الفواكه الرخيصة ومن الموالح والقثاء . وكذلك يجب الاكثار من الخضر . ويحسن أيضا أن يؤكل الخبز بردته ، أى الخبز الأسمر الذى يسمى السن . ومتى توافر فى أى بيت خبز أسمر و بيض ولبن وحبوب القطانى مع القليل من الفاكهة فإنه لا يشكو مرضا من قلة التغذية .

طفل يخشى الظلام

(القاهرة — ج — ط) هل الخوف من الظلام طبيعى فى الأطفال تجب معالجتهم منه فإن طفلى وهو فى السابعة يخشى الظلام كثيرا ؟

المجلة — ليس الخوف من الظلام طبيعيا . ولكنا نغرسه فى الأطفال بتخويفهم منه بالبعبع والعفريت وصاحب الرجل المسلوخة وغير ذلك ، ولو محونا هذه الألفاظ وأشباهها من معجم الأطفال لنشأوا شجعانا أجرياء لا يخافون الظلام ولا غير الظلام ، ولكنا نعودهم الخوف ونلقنهم بهذه الألفاظ .

أما طريقة معالجة الطفل الخائف فتنحصر فى إيجاد استجابات جديدة تبعث فى نفسه الارتياح كلما كان فى ظلام . وذلك بأن نضع له حلوى فى غرفة مظلمة ونطلب منه أن يحضرها لكى يأكلها . ونجعله يقعد مع أمه فى جو مظلم يحادثها ويأنس إلى الظلام . ويمكن أن نجرئه على الظلام بأن نعطيه بطارية بها مصباح صغير ثم نطلب اليه أن يتوغل فى مكان مظلم فاذا أحس خوفا أضاء المصباح . فاذا استعملنا معه مثل هذه الوسائل زال عنه الخوف .

زوج يشرب الخمر

(السنبلاوين — ص . ا) تزوجت منذ تسع سنوات شابا لم يكن يعرف الخمر ، ولكنه منذ ثلاث سنوات صار يشربها فى اعتدال مع الانكفاف عنها من وقت لآخر . ولكنه فى هذه السنة الأخيرة انغمس فيها حتى صار لا تفوته ليلة دون أن يشربها ، فهل لهذه الحال علاج ؟

المجلة — لكل رذيلة خطوة أولى ، والخطوة الأولى لشرب الخمور هى الكأس الأولى . ومن هنا كانت قيمة المبادئ التى يلتزمها الإنسان ويستمسك بها فى تعصب لا يلين حتى لا يخطو الخطوة الأولى .

والالتجاء إلى الخمر هو فرار من مواجهة الواقع ، ولابد أن يكون هذا الواقع سيئا ، أو تفريج لمشاعر مكظومة . وإذن يجب أن يتجه العلاج نحو تحسين هذا الواقع من ناحية ، وايجاد سلويات بريئة من ناحية أخرى . فان شيوع الاتومبيل والسينما والراديو فى الأقطار الأوربية مثلا قد أنقص استهلاك الخمور فى السنين العشرين الماضية إلى النصف . والزوج الذى يحب زوجته ، لا يسأم البيت بل يقضى فيه أحسن أوقاته وألذها ، يحدث أولاده ويهتم بشؤونهم .

فليكن لك أيتها الزوجة مغزى فى هذا .